العدد الخامس من السنة السادسة جمادى الثانية سنة ١٣٦٤ — مايو سنة ١٩٤٥

مجلة

الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

مدير التحرير : حسن الشريف
تليفون ٨٥٣١٢

المطبعة الأميرية بالقاهرة
١٩٤٥

فى هذا العدد

		صفحة
رسالة المليك الى شعبه		٣
وحى "الفاروق"	"قصيدة"	٥
مشكلاتنا الاجتماعية ووسائل علاجها	لحضرة صاحب المعالى وزير الشؤون الاجتماعية	٨
المرأة والإصلاح	للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى	١٠
العمل والعمال	للأستاذ حامد العبد	١٦
مشكلة العمل	للدكتور محمد غلاب	١٩
الفقراء والتعليم	للأستاذ محمد عطية الأبراشى	٢٥
النهضة القومية	الأستاذ محمود محمد صادق	٣١
الفنون وأثرها فى نظر المجتمع	للأستاذ محمود محمد صادق	٣٤
الصراحة	للأستاذ عباس أبو شوشة	٣٨
مسئولية خلقية	للأستاذ عبد الرزاق حميدة	٤١
علاقة الفرد بالمجتمع	للدكتور عبد العزيز أمين	٤٤
الجانب الاجتماعى فى الدعوة الاسلامية	للأستاذ محمد يوسف موسى	٤٧
إنتاج العامل الزراعى فى مصر	للأستاذ عريان يوسف سعد	٥١
علة العالم فى مصر	للأديب وديع فلسطين	٥٤
فرانكلين روزفلت كمصلح اجتماعى	للأديب محمد عبد الكريم	٥٨
الرجل الذى أضاء العالم	للكاتبة زينب محمد حسين	٦٢
التسول ومكافحته	للأديب لطيف بقطر	٦٥
نهضة السودان الاقتصادية	للدكتور يوسف نحاس بك	٦٧
خواطر وتعليقات	للأديب عيسى متولى	٦٩
أميرة عربية "قصة"	للأستاذ عبد الله حبيب	٧٢
مؤتمر إصلاح الأسرة		٨٠

رسالة المليك الى شعبه

فى يوم الهدنة

أذاع صاحب الجلالة الملك فى الساعة التاسعة من مساء يوم الهدنة الرسالة السامية التالية

شعبى العزيز :

" اليوم تضع الحرب الأوربية أوزارها بعد نضال عنيف استعمل فيه كل ما يهول ويروع .

" واليوم نشهد عيدا باهرا للحرية . يفيض ضوءه الغامر على اليابسة والبحار ، ويقام وسط هتاف الشعوب واغتباطها بما بلغته قواتها من هدف الفوز الذى توج أسلحة المدافعين عن الحق بأكاليل المجد .

" وانى أعرب عن تقديرى واعجابى بصدق عزيمة الأمم المتحدة التى قاتلت قتالا مجيدا لصون الحرية والدفاع عنها .

" وابعث بتحيتى وتهنئتى لحلفائنا الذين سجلوا لأنفسهم صفحات مجد رائعة بأعمالهم التى تنطوى على البطولة الخالدة .

" وان مصر التى امتدت اليها عاصفة العدوان وتحملت بمرور المحن والآلام ، والتى قامت بقسطها الموفور فى الحرب بما قدمت لحليفتها العظمى ولأصدقائها الأوفياء من مساعدات قيمة فى سبيل النصر لتشعر بفيض من الغبطة يغمر جوانبها لهذا النصر ، وتشكر الله تعالى أن كشف عن العالم هذا البلاء ، وتستمطر رحمته ورضوانه على أرواح الذين سقطوا صرعى وهم يتزاحمون للدفاع عن تراث الانسانية .

" وانى أضرع الى العلى القدير أن يستمع لصيحات الشعوب التى صبرت فى البأساء والضراء وحين البأس ، وأن يجعل السلم فاتحة خير لمستقبل العالم حتى تعم الحرية رواقها على الجميع .

" ومصر الحليفة والصديقة لا تشك فى نيات الحلفاء فى تحقيق الحريات ودعمها .

" ومما يعد فألا حسنا أن يجىء السلام فى وقت اجتمعت فيه كلمة الأمم العربية التى يسرها أن تساهم فى مشروع السلام العالمى .

" وأدعو الله أن يوفق الرجال الذين رفعوا علم النصر الى تحقيق سلام دائم تزول معه متاعب البشرية ويضمن الحقوق المشروعة للجميع وينعم الأفراد والشعوب فى ظلاله بحياة سعيدة وهناءة شاملة .

شعبى العزيز :

لقد مرت بنا فترة الحرب ، ونحمد الله أن لطف بنا فكان نصيبنا من ويلاتها يسيرا ، فلنتوجه بخالص الشكر الصادر من أعماق قلوبنا الى الله تعالى ، ولنذعه مخلصين أن يكلأ بعنايته الصمدانية مصرنا العزيزة التى طالما حاطها بلطفه وغمرها بجميل صنعه وكرمه .

" والسلام عليكم ورحمة الله " .

وحى "الفاروق"

منكَ الربيعُ . . .

ومنَّى اللحنُ والوترُ . . .

منكَ الربيعُ ، ومنَّى اللحنُ والوترُ ... فلا علىَّ . . إذا بالشَّدْو أنْهمرُ !
سلا المغنُّون ليلاهم ، وليلهمُ ... وأنتَ حُبُّ لسَلْوَى الناس مُدَّخَرُ
ومَلَّ حاديهمُ التزمير ، فانتبهوا ... على قوافلَ لم يهدأْ لها سفرُ . .
قوافلٌ من أغانٍ . . . أنتَ مُلْهمها ... وأنتَ فيها الهوَى والشَّجْوُ ، والذِّكَرُ
حدا خُطاها سليمانٌ ، وطار بها ... بساطهُ . . . وهدَى أرسانَها القدرُ
مُتَيَّماتُ الصَّدَى ، تسْرى فتحْسَبُها ... بنات طير جلاها الصَّمْتُ والسَّحَرُ
ذواتُ سحْرٍ ، يروعُ الجنَّ ، ما طرقتْ ... غيباً ، ولم يأتها عن سرِّه خَبَرُ
كم صادفتْ فى السُّرى ركْباً ، فأذهله ... أنَّ الرياحَ لها تُصغى وتأتمرُ
أطلقتُها من صحارَى النفس عاتيةً ... دنا القطافُ ، ولكن أوْغل الثمرُ !
أنَّى أغنِّى ! وما بى حاجةٌ لفمٍ ... يَرْوى ، وقلب بما يرْويه يعتبرُ
هـذا جَناحَىَ ! فليطرحْ حبائلَه ... صيادُ أرض النجوم الخاتلُ الحذرُ
طيَّرتُ فى الأفْق أسرابى ، فحيَّرها ... أن الفضاءَ سجينٌ خانه النظرُ !
فحوَّمتْ ، ورمى الأفلاكَ هازجُها ... بنغْمَـة لكَ فى توقيعها أثرُ
ألَسْتَ من شمسها فى مثل واهلة ... من الضياء عليها حومَ البشر ؟
النيلُ حولك يجرى . . . ما بشاطئه ... الا هوًى لك طىَّ الموج مُسْتَتِرُ
ضفافُه الخُضْرُ ، والأحلامُ تسكنها ... لنور تاجك فيها معبدٌ عطرُ
غنَّى به العشبُ ، والأنسامُ حين سرتْ ... أدَّتْ صلاةَ الهوَى من أهلها زُمَرُ
وقالت الريح قولاً ، منذ ما نزلتْ ... كلُّ الرسالات... لم تهتفْ به سُوَرُ
تمائمٌ ، وأساطيرٌ ، وقافلةٌ ... من التهاويل لم تُلْمَحْ بها صُوَرُ
هزَّتْ مناميرُها أشجانَ من سجدوا ... سحراً لواديكَ فى الماضى ، ومن عبروا
وشاددتْكَ فأغضَتْ ، واستحَتْ ، وسجَتْ ... كأنها رُسُلٌ للوحْى تنتظرُ

أذيعت فى مساء عيد الجلوس الملكى (٦ مايو) .

كلُّ الطبيعــة فى الشَّطين زامرةٌ ... وأنتَ "داوودُها" ... لم تَلْوكَ السَّــيَر
آنظــرْ تجدْها بأقــداح الربيع أتتْ ... وعنــدها لكَ من أعــراسه خبَر
ذابتْ على يومكَ الميمون أدمعُها ... وطاب للناس فى محــرابها السمَر
وراح كلُّ نديم عنــد حانتها ... بغــيرِ ذكرِكَ لا يُقْضَى له وَطَرُ
تخالطتْ خمــرُها فى كأس شاربها ... رحيقُ حبِّــك أم عنقودُها النَّــضِر
سبحان من رَدَّها عنْ ظلمــة وقفتْ ... فيهــا تولْول كالثَّــكْلَى وتُحْتَضر
خرساءُ . . لا طائرٌ فيهــا ولا نغمٌ ... جرداءُ . . لا أيكة فيهــا ولا زهرَ
الطــير فيهــا شيــاطينٌ مجنَّحةٌ ... من الحــديد . . . صدَى ألحانها شَرَر
قذَّافةُ الموت ، عمياءُ الطَّريق به ... حمقاءُ . . إنْ تَخْطُ لا تُبْقِى ولا تذَر
أعشــاشها من فُلوع الناس إنْ سكنَتْ ... وجَــوْها هَبْوةٌ بالهــول تستعر
والمــاء فيها دمٌ تغــلى سوا كُبَــهُ ... كأنه من جحيم النار مُنْفجر
هَــذى هى الحــربُ أعمارٌ مبعثرة ... ولا جنازٌ ، ولا نعشٌ ، ولا حُفَر
لفَّتْ أعاصيرُها الدنيــا ، وفى يدها ... جَفْــرُ الحضارة والآمال ، يَنْحــر

* * *

صانتْ يد الله مُلْكًا أنتَ عاهــله ... وأنتَ حاميــه إنْ طافت به الغــيَر
وادٍ رميتَ الضحَى فى جنْب غفْــوته ... فهبَّ من رَقْــدة طالت بهــا العُصُر
كانت تعيش على التــاريخ عــزته ... واليــومَ منــك صبادا الفــارعُ النضر
بعثتَهــا وشبَبْت النــار فى دمهــا ... وقلتَ هُبِّى ! فكان الزادُ والسفَــر
ومثْــلُ عزمك يا "فاروق" داصفَــةٌ ... ركابُهــا . بغُيُــوب اللَّيْــل مُــدَّثر
تُذْرى بعــوجلها قلبَ الهشيم ، كما ... تمَــزَّقَ اليأسُ فى كفَّيْكَ والخَــوَر !
ومثْــلُ برِّك يا "فاروق" ، ... زائرةٌ ... من الغمام تلَقَّى فيْضَهــا الزهَــر
مالتْ عطاش الليــالى ترْتجيكَ ، كما ... بالنهــر مال حَمــامٌ شفَّــهُ سَفَــر !
ومثْل خطوكَ يا "فاروق" ... فاجئةٌ ... من الحــوَى لمشُوق فَتَّــهُ السَّهَــر
آفاق مصْركَ سيناءٌ ، وأنتَ لهــا ... "موسى" يُشَعْشِعُ منْكَ الحالكَ الْعكر
ومثل عدْلكَ يا "فاروق" ... ساريةٌ ... من الضيــاء ســقى عيدانَهــا القَــمَر
سيَّان فيهــا عزيزٌ فى مقاصره ... وشاردٌ زادَهُ عن كوخه الضَّــجَر

هـذى موازينُ شَعْب أنت سائسُه ... فاحكم ! عليكَ سلامُ الله "ياعُمَرُ"
ومثل تاجك يا " فاروق " ما عرفتْ ... مفارقُ المُلك ، والتيجانُ ، والسُّرُر
مُنوَّر بالعلا ، من عهد أنْ وقفتَ ... أهرامُ "خوفو" وغنَّى الفأسُ والحَجَرُ !
ومثل شعبكَ "يافاروق" ... ... كَوْكَبَةٌ ... من الطُّيور جَفاها الظلُّ والسَّحَر
في فارظ من سهوب الصيف يَرْدبه ... خطْوُ النسيم ، رمَى أسرابها القدَر
فزفزفتْ ، وتلاشتْ فيك لوْعتُها ... وأنتَ روْض بقلب الفجر مُزْدَهِر
ومثل عطفك يا " فاروق " ... شاديةٌ ... من الأنامل يَشْكُو نَعْتَها وَتَر
تُشْجي ، وتُطْرب ... لاتدرى الذى سحرتْ ... ولا الذى مُوشكٌ باللحن يَنْحَسِرُ
تَشفي ، وتُبرئ لاتدرى ... كما شربتْ ... طبَّ الربيع جراحٌ دسَّها زَهَرٌ ! !
ومثل عصرك يا " فاروق " ... مُزْعِجَةٌ ... من الليالى تهاوَتْ حولها النُّذُر
وأنتَ للنيل فيها ، فارسٌ عَجَبٌ ... معلمٌ — دون حرب — كيف ينتصر !
شباب مُلْكك للأوطان ، أمْنيةٌ ... على هواها جميعُ الناس قد سكروا
إن كان فرَّقنا رأىٌ ... فأنت لنا ... قلبٌ لديه خصام العقل يُغْتفر
فاجمعْ هوانا ، وطرْ للنجم محتشداً ... فما يَزالُ هناكَ المجدُ يَنْتظرْ
عدلتَ في الحب إذ سوَّيتَ خُطْوته ... فكلُّ أرض لها من حبه أثر
أما نزلتَ على الصُّلبان ساحتَها ... هلالَ حُبٍّ رآه القلبُ والنظر
وقام "بطْرِيقُها" هيمان مُنْتشيا ... وجفْنُهُ بعُذاب الشوْق يَنْهمر
كأنما أنتَ من "عيساهُ" خاطرةٌ ... يُشْجَى بزوْرتها الإنجيلُ والسُّوَرُ !

فاروقُ ، هذا الذى تُوحى السَّماءُ الى ... نأى يُحسُّ ويَستوحى ويَنْفجرُ
شعْرُ ضياؤكَ يَجْرى في مقاطعه ... فأدَّت حدتُهُ العُلا والمجد والخطَر
وبعضُ ماتُلْهمُ التيجانُ أغنيةٌ ... للفنِّ والسِّحْر في إنشادها صُوَر
يَبْلى الغناء وشاديه وسامعُه ... إلا غناءٌ به الإحساسُ مُنْفطر
هذا غنائى يا "فاروق" خلَّدَهُ ... جديدُ وحْى ، كضوْء الشمس منتشر
يَرْوى علاكَ ، وتَرْوى عنه تمائمه ... إدْعاشةُ السِّحْر ، والرُّقْيا بمن سُحروا ...

محمود حسن اسماعيل

مشكلاتنا الاجتماعية ووسائل علاجها

حديث لحضرة صاحب المعالى الأستاذ عبد المجيد بدر بك
وزير الشؤون الاجتماعية

تبرز فى مقدمة مشكلاتنا الاجتماعية مشكلات ثلاث : أولها انخفاض مستوى المعيشة للفلاحين والعمال، وثانيها تهدم كيان الأسرة ، أما الثالثة فانتشار الأمية .

وستعالج المشكلة الأولى فيما يتعلق بالفلاحين بتعيين الحد الأدنى لأجورهم ، وادخال وسائل تحسين الصحة العامة بينهم، بتوفير مياه الشرب الصالحة والاكثار من الوحدات الصحية والمراكز الاجتماعية والجمعيات التعاونية مع اعطائهم قسطا مناسبا من الترقية والثقافة العامة عن طريق الاذاعة ، وتنظر الحكومة فى مشروع يقضى ببيع أملاكها من الأراضى الصالحة للزراعة فى شكل صفقات صغيرة لصغار المزارعين بأسعار معتدلة وأقساط موزعة على أجل طويل بفوائد منخفضة ، وهى ترى فى هذا وسيلة مبدئية لتقليل الفوارق بين الطبقات .

وأما العمال فقد كانوا وما زالوا متمتعين بشدة عناية الحكومة بأجورهم وسن القوانين الكفيلة بتحقيق مصالحهم وتيسير سبل العيش لهم ، ولاتدخر الحكومة وسعا فى رفع مستواهم وتمكينهم من التوجيه السديد لاتقان عملهم وزيادة انتاجهم، وهى ترجو أن ينتفعوا مع سائر طبقات الأمة بسياسة التعاون للاشتراك فى جنى ثمارها وتحمل أعباء الحياة فى هذا الغلاء، وتود الحكومة أن يقبل الأغنياء على المساهمة فى المشروعات الصناعية لاستغلال أموالهم فى هذه الأعمال النافعة لهم ولمواطنيهم العمال والتى سيكون من شأنها توسيع مجال العمل أمام العمال وازدهار الصناعة المصرية وزيادة الثروة القومية عن طريق هذا الركن الركين من بناء العزة والكرامة .

أما المشكلة الثانية ، وهى تهدم كيان الأسرة فستعالج بسن قانون يحد من حرية الطلاق وتعدد الزوجات اتقاءا لخطر التشرد والتسول الذى تشكو منه البلاد والذى جره عليها جهل الفقراء بحكمة التشريع الالهى سواء فى الطلاق أو فى التعدد . إذ لاشك فى أن العاجزين عن نفقة زوجة واحدة هم الذين يسرفون فى التعدد وينكبون المجتمع بذراريهم المشردة، ومهما يكن من احتمال الخزانة العامة لانشاء الملاجىء والمؤسسات الاجتماعية فانه لايمكن أن تتسع الميزانية لهذا الموج المتلاحق من زمر المتشردين اذا لم يجتث أصل الفساد بواسطة التشريع .

أما المشكلة الثالثة، وهى انتشار الأمية، وهى التى تجعل جمهور الشعب فى سبات عميق من الجهل بالوسائل الصحية فستعالج بصفة مبدئية بتدارك النقص الذى حصل فى التعليم الالزامى ، وستحشد لهذه الغاية كل قوات الحكومة الميسورة لها سواء فى مدارس وزارة

المعارف أو مساجد الأوقاف أو الساحات الشعبية التي أنشأتها وزارة الشؤون لنشر الرياضة بين الطبقات الفقيرة أو الجمعيات التعاونية في المراكز والقرى ، بحيث تستأصل شأفة هذا الداء في أقرب وقت تسعفنا فيه موارد الميزانية .

على أن الأمر لا يقتصر على هذه المشكلات الثلاث ، فلها ذيول تليها في الأهمية والبروز ولا بد لها هي الأخرى من دراسة وتدبير علاج ، كإصلاح السجون وتنظيم شؤون الدعاية عن طريق الصحافة والاذاعة والسينما وإشاعة روح التعاون بين الناس وتعميم جمعيات التعاون وإقامة التشكيلات الكفيلة بمراقبتها حتى يشعر الكل بفائدة هـذا النظام وينتفع بمزاياه أسوة بالأمم التي سبقتنا إلى الأخذ به ، وأرجو أن أتمكن في فرصة قريبة من استعراض بعض نواحي النشاط الذي نحاول به حل بعض مشكلات أخرى .

" لا يستخف ذو العقل بأحد ، وأحق من لم يستخف به ثلاثة : الأتقياء ، والولاة ، والإخوان ، فإنه من استخف بالأتقياء ، أهلك دينه ، ومن استخف بالولاة ، أهلك دنياه ، ومن استخف بالإخوان ، أفسد مروءته " .

" ابن المقفع "

المرأة والأصلاح

للأستاذ الكبير ابراهيم عبد القادر المازنى

"نص المحاضرة التى ألقاها فى نادى الصحفيين بدعوة من الحزب النسائى"

سيداتى وسادتى :

ومعذرة إذا فرقت بين السيدات والسادة، فما لى فى هذا رأى أو حيلة، فانه حكم اللغة، لا حكمى، واذا قلت اللغة، فكأنى قلت الطبيعة، واللغة — كل لغة — مما صنع الانسان بالهام الفطرة، والانسان هو الرجل والمرأة، لا الرجل وحده، ولا المرأة بمفردها، بل إن المرأة هى المسئول الأول عن هذه اللغة التى تتخذها جميعا — رجالا ونساء — أداة للتفاهم، فقد كانت حواء هى التى سمت الأشياء التى أوحيتها اليها حياتها ووظيفتها أسماءها، ووضعت لها نعوتها وأوصافها، وقررتها وصقلتها بالتكرار، أى أيام كان الناس جماعات على الفطرة لم تأخذ من المدنية بنصيب، ولم تقسمها الصفات الشخصية والملكات العقلية طوائف، ولم يفرق بين أفرادها اختلاف المراتب وتباين الأعمال وتعدد الآراء، وأيام كانت حدود الفرد هى حدود التقاليد والعادات المشتركة بين الجماعة كلها.

فى تلك الأيام كان الرجل يخرج للصيد أو للحرب، ويترك المرأة فى كهفها أو كوخها، ليعود فيلقى اليها بما فاز به فى يومه، وليس من اليسير أن نرد عقربى الساعة آلافا من السنين، أو عشرات الآلاف، وأن نتصور حياة الانسان، أو الجماعة الانسانية على نحو ما كانت، فان هذا يحتاج إلى جهد من الخيال يكاد يجاوز الطاقة، ولكنه جهد غير مستحيل، وما زال الرجل إلى الآن هو الذى يسعى ويتصرف، ويكد ويجد لكسب الرزق، وما زالت المرأة، مع الأسف، هى القاعدة غير الساعية فى الأغلب والأعم، والرجل هو الذى يحمل السلاح ويخوض القتال، والمرأة هى التى تزوده بما يفتقر اليه من التشجيع والعطف والترفيه، وقد تعد له هذا السلاح الذى يضرب به ويدافع، أو على الأقل تشارك فى اعداده، فاذا كان هذا هو الواقع من أمر الفريقين — الرجل والمرأة — إلى اليوم، فليس من الشطط فى التخيل، والاغراق فى التوهم، أن نقول إن الرجل كان فى قديم الزمان، وسالف العصر والأوان كما تقول القصص القديمة، هو الذى عليه كسب الرزق والحرب باغيا ومدافعا، وان المرأة هى التى كانت تقعد منتظرة ما يعود أو لا يعود به إليها.

والحرب والصيد يغريان بالتسمت أكثر مما يغريان بالكلام، لأن طبيعة العمل فيهما تقتضى ذلك، والحركة والخفة والمخاتلة، تتطلبه، فما يعقل أن يخرج الرجال للصيد فيملأوا الأرض والسماء ضجيجا وصخبا ويرجو أن يقعوا على الفريسة، ثم يذهبون للسمر، بل للفاجأة

والكر المنجح ، وكذلك الحرب ، وقد تكون الأصوات المزعجة مما يلجأ إليه المحارب ليوقع الرعب فى قلوب خصومه ، كما حدث حتى فى هـذه الحرب ، التى رأينا فيها الطائرات تخرج نوعا من الصفير يخلع القلوب و يتلف الأعصاب ، ولكن هـذه الأصوات على شدة وقعها فى النفوس ليست كلاما ، و إنما هى نوع من الضوضاء والجلبة ، وليس معنى هذا أن الذين كانو يخرجون للصيد أو للحرب فى العهود الفطرية من حياة الجماعة الإنسانية ، كانوا لا يتكلمون ، فما من شك فى أنهم كانوا يتكلمون فى الطريق إلى حيث يريدون ، وقبل أن يبلغوا مكان الصيد أو الموضع الذى يتخيرونه للقتال ، و بعد أن يعودوا من ذلك أيضا ، منجحين أو مخفقين ، فيصف بعضهم لبعض ما كان فى غارة سابقة ، وما وقع لهم فى يومهم ، وما يتوقعون من مرور نسائهم وصغارهم حين يعودون بأكف ملأى وعباب محشوة ، وقامات معتدلة ، ورؤس مرفوعة . إلى آخر هذا ، ولكنهم فى أثناء الطرد والصيد والقتال يصمتون أكثر الوقت .

والمرأة على خلاف ذلك ، فهى أكثر الوقت بين أترابها ، إذ كان عملها لا يضطرها إلى الوحدة ، فهى تباشره فى جماعة منهن قليلة أو عديدة ، وفى يد كل منهن عملها كائنا ما كان ، وهن فى أثناء ذلك لا تستريح ألسنتهن فى حلوقهن ، ولا تنقطع عن الدوران ، وأحسب أن من الحقائق أن النساء أكثر كلاما من الرجال ، وقد يجلس الرجل إلى صاحبه ، وينقضى معظم الوقت وكلامهما مطبق الفم ، أما النساء فهـذا هو المستحيل عليهن ، أو هو الذى يشبه المستحيل ، وليس فى قولى هذا غض من قدر المرأة ، وأنا أعاله بأن عمل المرأة لا يكافها مجهودا عقليا مستغرقا ، ففى وسعها أن تباشر عملها بناحية من عقلها ، وأن تواصل الحديث بناحية أخرى ، ومن الرجال أيضا من لا تكبدهم أعمالهم مشقة فيسعهم أن يتحدثوا وهم يعملون .

ومن هنا كانت المرأة هى التى أعانتها وظيفتها فى الحياة على وضع الألفاظ ، وقررتها وصقلها وأشاعتها بتكرار الاستعمال ، وكثرة الترديد ، والتكرار هو الذى يذيع اللفظ و يشيع استعماله ، ويجعله مادة حية ، وفضل النساء فى ذلك عظيم ، هن الثرثارات اللواتى يخدمن اللغة و يقررنها بالتداول ، ويشعنها فى الجماعة ، ويدربنها على الألسنة ، ويثبتنها فى الذاكرة — يجىء إليهن الرجل يقتصه و يقص عليهن ما جرى له فى يومه وقلما يعيد القصة إلا إذا كان فياشا فشارا ، ولكن المرأة تحكيها لأترابها مائة مرة ومرة وعلى مائة صورة وصورة . تارة بافاضة ، وأخرى بايجاز ، وطورا توشيها بأخيلتها الحسية ، وطورا تطرزها بوصف هيئة الرجل ، وهو يلقى قصته ، أو ما تقدر فيه من المزايا والصفات ، وتخرج من ذلك وتستطرد الى مائة موضوع آخر قد يعيى الرجل أن يلمح الصلة التى تربط هـذه المواضيع بالحكاية

الأصلية ، يضاف الى هـذا ما لا تفتأ تتحدث به عن عملها أو أعمالها هى ، وأكثرها فى الأطوار الأولى من نشوء الجماعات الانسانية صناعى ، أو أدخل من غيره فى باب الصناعة . ومن هنا كانت المرأة هى المخترعة الأولى للصناعات الأولية ولا سيما المنزلية منها ، والأطفال ؟ أليس يدع الرجل أمر تعليمهم الأولى الى المرأة ؟ هى التى تغذى الطفـل وتنشئه وتعلمه الكلام وتلقنه اللغـة بما لاتزال تصبه فى أذنيه من عبارات لها معنى أو ليس لها بمعنى ، وتفهم له ذاكرته بالمحصول الأول من اللغة ، وتعـد له أول ما يلزمه من الذخيرة فى رحلة حياته ، فليست المرأة عاملا لايستهان به فى تقرير اللغة الكلامية وصقلها ، فحسب . بل هى كذلك أول معلم تتلقى عنه هذه اللغة ، وتحذقها منه .

وأقل ما يقال أن المرأة شريكة الرجل فى تقرير اللغة وأوضاعها . فمن العجائب بعد ذلك أن تجيء فتقول غيروا هذه اللغة ، وبدلوا أوضاعها ، واحذفوا نون النسوة وما يجرى مجراها ولمـاذا ؟ لأنها تبغى المساواة ، أو تطلبها على الأصح ، وفى أى شيء تطلب هذه المساواة ؟ فى الحقوق والحريات . ومن تطالبها ؟ من الرجال ...

فاسمحن لى أن أقول انى لا أبخل على المرأة بشيء تشتهيه ، ولكنى لا أفهم هذه المساواة التى تطلبها ، ولا أعرف للفظها معنى فى هـذا المقام ، إن كل حق ينبغى أن يقابله واجب وإلا انقلب امتيازا ليس له مسوغ ، فاذا كانت المرأة تريد أن يكون لها مثل حقوق الرجل ، فلتتفضل وتحمل ما يحمل من الأعباء وما ينهض به من التكاليف ، وما يؤديه من الواجبات فى كل باب ، وفى السلم وفى الحرب ، وفى البيت وخارج البيت ، وفى حمل الأثقال ، ونقل التراب ، وبناء الدور ، وتمهيد الطرق ، وفى مئات أخرى من هذه الأعمال وغيرها مما يحتاج الى ملكات عقلية خاصة ، وعلى أن لفظ "الحقوق" أيضا خطأ ، فالرجل لا يزاول حقوقا ، وإنما يؤدى وظيفة ، هى التى ألفاها موكولة اليه فى الحياة ، ولو استطاع لأعفى نفسه من ثقلها وألقى عبئها على كاهل غير كاهله ، وما أظن بالرجل إلا أنه خليق أن يسره أن يرى المرأة تشاطره عمله وتريحه من بعض عنائه ، فلتتفضل مشكورة غير محسودة إذا قدرت .

ليس هناك تمييز للرجل دون المرأة ، حتى تحتاج المـرأة أن تطالب المساواة و إنما الذى هناك هو توزيع اختصاص ، للرجل وظيفة ، وللمرأة وظيفة ، ولم يكن الرجل مخيرا فى أمره ، ولا كانت المرأة فى فسحة من رأيها ، وانما فضت الطبيعة عليهما بأن يحمل كل منهما عبئه ، ولست أرى أن أحدهما بقادر على استبدال وظيفة الآخر بوظيفته ، لأن الأمر مرجعه الى أصل التكوين لا إلى الرغبة والاختيار .

وأود أن أقول شيئا آخر ، هو أنه لا فائدة من أن تلهج المرأة بمطالب لها ، فى المساواة أو غيرها ، فلن تنال بكثرة اللغط شيئا ، وانما الذى ينيلها ما تبتغى هو القدرة عليه ، فلتلتمس الوسيلة ولتتسلح بالسلاح اللازم ، ثم لتباشر ما تأنس فى نفسها القدرة عليه ، فما يستطيع

الرجل أن يعطيها شيئا ، حتى اذا أراد ، وانما عليها هى إذا تشدت شيئا ، أن تتأتى له ، وأن تكتسب القدرة عليه ، وأن تزاوله من تلقاء نفسها بلا كلام أو لغط ، فان يقدر الرجل أن يمنعها حينئذ ، أو يصدها عما يسعها .

كانت المرأة تحتجب وتنتقب ، وتلزم بيتها لا ترمه ، لأنها كانت جاهلة ولم تكن تشعر بثقل الحجاب المضروب عليها ولا كانت تتململ منه أو تبرم به ، بل كانت راضية عنه مطمئنة اليه ، زاهدة فى طرحه والتحور منه ، وكانت لا تنكر حاجتها الى هذا المظهر من مظاهر حماية الرجل لها ، ولا تأنف أن تعترف بالافتقار الى هـذه الحماية ، بل كانت تحتقر الرجل الذى يقصر فى واجب حمايتها ، ولا تعده رجلا خليقا بها ، ثم تعلمت وفهمت ، وأحست وأدركت أن فى وسعها أن تستغنى عن هذه الحماية الى حد ما ، أو أدركت على الأصح أن هذه الحماية مبالغ فيها ولا ضرورة اليها ، وأن السفور لا يحرمها شيئا كانت تنعم به . . وأنه على نقيض ذلك يفيدها شعورا جديدا بآدميتها وشخصيتها ، وذاتيتها المستقلة ، فتمردت على الحجاب ، وسفرت ، ولم يستطع الرجل أن يمنعها ، لأنها أصبحت من تلقاء نفسها أهلا له ، وألفى الرجل نفسه مرتاحا الى هذا التطور ، لأنه يفيد منه ما لم يكن يفيد من الحجاب ، والانسان أنانى بالطبع ، وليس مخلوقا نبيلا أو شريفا أو كريما بالطبع ، وكل ما فى الأمر أنه أصبح حيوانا معقول الحواشى ، واعتاد أن يكبح غرائزه ، أو يجريها فى المجارى التى هيأها النظام الاجتماعى ، خوفا من عواقب المخالفة والشذوذ ، فاجتمع فعل العادة وفعل الخوف ، فهما يستطيعان أن يصدا الانسان عما تدفعه اليه الغرائز الساذجة ، ولولا أن الرجل وجد أنه عاجز عن رد المـرأة الى الحجاب ، ووجد فوق ذلك أن السفور خير له هو وأمتع ، وأخلق بأن يجعل حياته أكثر امتلاءا ، لقاومه بكل ما أوتى من قوة .

وهذا مثال يمكن أن يقاس عليه ، والذى يستخلص منه ، هو أن الانسان يأخذ كل ما يسعه أخذه ، ولا يعطى إلا مضطرا ، ولا يتسهل إلا فيما يرى له مصلحة فيه ، أو ما يرى نفسه عاجزا عن مناهضته ودفعه ، فاذا أرادت المرأة إصلاحا فى أى وجه من وجوه الحياة ، فان عليها أمرين ، الأول أن تهيىء هى نفسها لهذا الإصلاح ، وأن تقنع الرجل عمليا بأنه خير له هو ، وأن مصلحته هو تقتضيه . فان يكتفى بأن يرى لها هى وحدها مصلحة فيه .

ويجب أن يكون مفهوما ومقررا فى الأذهان ، أنه ليس ثم حق مطلق ، أو حرية مطلقة ، وأن كل حق مقيد ، وكل حرية لها حدودها ، وأن الجماعة الانسانية لا تستغنى عن قدر من النظام تضبط به الأمور ، ويستقيم به الحال ، وتستقر على حدوده الحياة ، فكل إصلاح منشود ، ينبغى أن تراعى فيه هذه الضرورة ، وإلا فسد الأمر ، وارتددنا إلى الاستيحاش والتقوضى ، أو اضطربت على الأقل حياة الجماعة

وأضرب مثالا قد يغنى — أو أرجو أن يغنى عن غيره — تعدد الزوجات والصيحات العالية فى موضوعه ، واللغط الممل بوجوب علاجه ، وأعترف أنى أنفر نفورا شديدا من هذا التعدد ، ولا أطيق أن أتصور أن تكون لى زوجتان ، بل أشعر بقشعريرة تسرى فى بدنى إذا خطر لى ذلك ، ولكنى أوثر أن أكون صريحا فأقول أن لى عقلا كما أن لى شعورا ، وعقلى يقول لى إن نفورى من الجمع بين زوجتين يرجع فى مرد أمره إلى أمور كثيرة شتى — منها العادة ، فقد أصبحت زوجتى صديقا لى يملأ حياتى فأنا لا أستطيع أن أتصور كيف تكون حياتى ، أو كيف تطيب لى إذا خلت من هذه الزوجة الصديق ، ولا أطيق أن أنغص حياتها التى طبت أنا بها نفسا ، بأن أجيئها بضرة تنافسها ، ومنها انى أجد راحة فى الاقتصار على زوجة واحدة لا أطمع فى مثلها إذا كانت لى اثنتان ، فأنا أوثر الراحة والعافية ، على المشقة ووجع القلب ، وأوثر أيضا ألا اضطر إلى اصطناع أخلاق النفاق ، وهو مايضطر اليه زوج الاثنين ، ومنها أن الابناء مشكلة ، والإخوة الأشقاء خير من غير الأشقاء ، ومنها أنه ليس لى مال يكفى زوجتين ومن عسى أن تجيئانى به من البنين والبنات .

كل هذه وجوه تنفرنى من تعدد الزوجات ، بعضها عاطفى ، وبعضها عملى ، ولكن عقلى يقول لى أشياء أخرى كثيرة .

يقول لى إن الإنسان لا يعرف التوحيد فى الحب ، لا الرجل يعرفه ولا المرأة تعرفه ، وقد ينكر السامع قولى هذا ويستهجنه ، ولكن الحقيقة هى أن التوحيد فى الحب أكذوبة ضخمة ، وخرافة يلهج بها اللسان ولا يصدقها القلب ، وأنا أعرف أن كثيرين جدا من الرجال يشعون الفم لأنفسهم ويكبحونها كبحا شديدا . ويفرضون على أنفسهم هذا التوحيد . وأعرف أن النساء اللواتى يلتزمن حدود التوحيد أكثر من الرجال الذين يفرضون على أنفسهم به . ولكن هذا معناه ماذا ؟ معناه أن الانسان يروض نفسه على هذا التوحيد ويتكلفه . وفرق ولا شك بين التكلف وما تدفع اليه وتفرى به الفطرة . ومعناه أن المرأة أقدر على الرضى برجل واحد . لأنها أضعف من الرجل وأقل حيلة . ولأنها أيضا أطول إخلاصا منه . ووفاء . ولاحظوا أنى أقول " أطول إخلاصا ولا أقول أخلص . فالرجل يخلص والمرأة تخلص . ولكن عمر الإخلاص عند الرجل أقصر فى الأغلب من عمر إخلاص المرأة . يعوزه المال . وقد يستطيع المرء أن يخفيه ويحجبه فلا يتبدى فى قوله أو فعله . ولكن هذا ليس معناه أن المال غير حاصل . وإذا سلك المرء سلوك المخلص وسار سيرة الوفى . فليس معنى هذا أنّ الإخلاص فى قلبه . فيجب التفريق بين السيرة والمضمر المطوى فى السريرة .

ويقول لى عقلى أيضا إن هذه هى علة جانب على الأقل من جوانب النساء الخلقى التى فى الدنيا . ولا مطمع لأحد فى القضاء التام على الفساد . فان هذا يكاد يكون فوق طاقة

البشر . فان دواعيه أكثر من أن تحصى . أو تيسر علاجها جميعا . ولحسب المصلح أن يعالج بعضها مما يدخل فى طوقه . وأن يخفف الشر و يلطف الأثر ويحمى الجماعة بل عواقبه . والعقل يقول إن تعدد الزوجات طبيعى أولا اذا اعتبرنا ماتنزع اليه الفطرة . و إنه خليق أن يصد عن بعض الفساد . و يقول العقل أخيرا إن منع تعدد الزوجات لايمنع شيئا من الفساد والبلايا التى تصيب الجماعة بل يشجع عليها .

و ينبغى أن لانغفل أثر الآراء والنزعات التى نستوردها من الغرب . وكثير منها من ثمار هذه الحرب التى تركت الرجل دون النساء فى العدد . والتى أفضت الى قدر لايستهان به من الترخص والتسهل والتسامح لم يكن معروفا من قبل. فاذا أضفنا هذه الواردات الأجنبية . التى نسرع لجهلنا وضعفنا وانحطاطنا الى تقبلها والأخذ بها — اذا أضفنا هذا الى فساد نظامنا الاجتماعى . واضطراب نظامنا الاقتصادى وسوئه . والى التقدم العلمى ولا سيما فى الطب ، والى فساد الذمة واللهفة على الغنى السريع — وهما من آثار كل حرب — أقول اذا أضفنا هذه العوامل أمكن أن نستشف من خلال أستار الغيب حالة اجتماعية تقوم على مبادئ خلقية جديدة . لا تطابق مبادئنا الخلقية الحالية كل المطابقة . ومن الواجب أن نجعل بالنا الى هذا الطور المنتظر . وأن لانسرف فى صيحات الاعتراض على تعدد الزوجات من غير أن ندرك ادراكا صحيحا هذا التطور المرتقب . فلن تكون المسألة فى غد هل تتعدد الزوجات أو لا يتعددن . بل هل ستبقى الفضائل الأخلاقية هى المسيطرة على علاقة الرجل بالمرأة أو لا تبقى ؟ هذا ما ينبغى أن نتنبه اليه . ونفتح عيوننا من الآن عليه . وندبر أمورنا ونصلح شئوننا بحيث يتسنى لنا أن نتقى خطره . و إلا كنا عميانا لا خير فينا . وعدنا أهلا لكل ما يحيق بنا .

و إنى لأسمح لنفسى بأن أكون مغرورا وأرى أنى نجحت إذا أنا استطعت أن أوقظ القلوب وأنبه النفوس لما هو مرتقب من التطور الخلق الذى يبدو لى من الآن جليا . والذى يجب أن ندخله فى حسابنا إذا أردنا أن نجعل لما نحاول من الإصلاح قيمة . وكل إصلاح لا يحسب فيه حساب هذا التطور الذى نمضى اليه بسرعة . لا يفضى إلا الى زيادة الاضطراب وشيوع الفساد .

العمل والعمال

للأستاذ حامد العبد
المدير العام لمصلحة العمل

فى هذه الفترة الدقيقة الهامة من حياة العالم، تتجه جميع الانظار فى كل بلاد الدنيا تقريبا، الى مسائل العمل والعمال، تمهيدا لوضع النظم الجديدة، التى تلائم سياسة كل أمة من الناحية الصناعية أو الاقتصادية أو الزراعية، لمواجهة المستقبل وما سيقوم فيه من تنافس وتسابق، ولن يكون النصر فى هذه الميادين جميعها، إلا للأمم التى تعرف كيف تنظم أمورها، وكيف تنفذ ماتتفق عليه من خطط و برامج .

وها نحن أولاء فى مصر، نرى الزمن يتحول بنا إلى ميادين الصناعة بعد أن مهدت لنا ظروف حربين عالميين كبيرين هذا التحول، ولم يعد ينقصنا لكى نسلك هذا الطريق الجديد وندخل فى مضماره إلا التنظيم والسمو بالمجهود الفردى لكل عامل أو صاحب عمل، نحو خير البلاد ونجاح المجهود، فإذا تم ذلك شعر كل واحد بالفائدة التى تعود عليه كفرد من المجموع وجزاءه كأحدى نتائج النجاح لبلاده — أقول اذا تم ذلك شعر بأن هدفه أو أمله الوحيد لم يكن صالحه الشخصى أو حب ذاته .

وكما يصح أن يقال هذا للعامل، فانه يجب أن يقال أيضا لصاحب العمل أولا، وكما يقال للفرد يقال للهيئة سواء أكانت نقابة عمال أو هيئة من هيئات أصحاب الأعمال .

ولا أعتقد أن تنظيما يمكن أن ينجح، أو يثمر ثمراته الطيبة، إلا إذا كان قائما على وحدة المصلحة ووحدة الغرض بين العامل وصاحب العمل، فكل منهما ليس إلا طرفا واحدا من أطراف الصناعة، وأقصد بها اليد العاملة وأداة العمل والمال والعقل، ولا يمكن أن يسير عمل من الأعمال بغير هذه الوسائل الأربع، كما لا يمكن أن تقوم له قائمة إلا بانسجامها، وتناسقها، مع انعدام التنافر بينها، وربما كان المسئول فى نظرى عن ضمان هذا الانسجام وتوافر هذه الوحدة هو العقل، وبمعنى آخر هو صاحب العمل .

ولا أنكر أن على العامل واجبات لا تقل عن واجبات صاحب العمل، لكن رجاحة العقل عند الأخير وضعف جناح الأول فى كل أسباب الحياة، يجعلان العبء كله على صاحب العمل لضمان حسن التوجيه وحسن الرعاية، ولتوفير العناية بالعامل، كعناية بتنمية ماله أو صيانة آلاته ومعداته .

وهنا تنشأ واجبات صاحب العمل فى ضمان سلامة العامل فى عمله وضمان صحته وعيشه، وضمان العيش هذا لا يتطلب من صاحب العمل أكثر من تقدير أجر معقول لمجهود معقول يشجع بالزيادة كلما زاد الانتاج أو أتقن العمل .

* نص المحاضرة التى افتتح بها برنامج المحاضرات الاقتصادية للعمال بمحطة الاذاعة اللاسلكية يوم ١٩ مايو الماضى .

كما تنشأ واجبات العامل أيضا فى الاخلاص لعمله باتقانه وتحسينه ما أمكنه التحسين والاتقان ، واطاعته للنظام وحسن السلوك ما أمكنه ذلك .

وانى لا أفهم فى الحقيقة سببا معقولا لقيام أى نوع من الخلاف بين صاحب العمل والعامل مما يمكن أن يسمى بنتائجه خلافا ، ولا أفهم لماذا لا يقوم الوئام دائما مقام الخلاف ، والمحبة مقام الكراهية التى ألمسها فى بعض الأحيان ، ومن حسن الحظ أنها قليلة نادرة . . . . ، ولماذا لا يكون مكان العمل من نفوس الطرفين كبيت الأسرة ، يعرف رب الأسرة أوصاحب العمل انه هو المسئول عمن هم تحت رعايته ، فلا يقسو ولا يتهاون ، ولا يجامل ولا يناهض ، كذلك يعرف العامل أنه كاحد الأبناء . يقبل اللوم أو العقوبة من صاحب العمل كما يقبلها عادة من رب الأسرة ، ويفترض أنه باللوم أو بالعقوبة يقوم من اعوجاجه ولا يؤذيه ويظهر المه منه ولا ينغصه ، ويشعره بالغضب وهو يعطف عليه .

ولا أدرى لماذا يأتى فى هذه المناسبات دائما دور الدخيل الأجنبى عن الطرفين وعن بيت العمل ، أو يأتى دور أحد أعضاء أسرة العمل ممن تملك الشر من نفوسهم ، فيجعل من الحبة قبة ، ويثير الخلاف بدلا من تهدئته ، ويلبس لباس الصديق . فيقف فى أحد الجانبين متحمسا أكثر من صاحبه ، فتتطور الحوادث ويصبح الالفات البسيط أو الخلاف البسيط نزاعا كبيرا . تتدخل بسببه الحكومة بين أهل البيت فى العمل ، وبين أفراد أسرة المصنع .

وهنا أرجو أن يسمع الجميع منى ما أقوله ، وأرجو أن يضعوه موضع العناية من نفوسهم ، وأرجو أن ألخصه فى أسئلة بسيطة وهى : هل يرضى واحد منا فى بيته وفى وسط أسرته ، أن يتدخل أجنبى بينه وبين أهله الحق أو غير الحق ؟ ولماذا يقبل هذا التدخل من الغير . وليت الأمر قاصر على الغير فقط ، بل يتعداه إلى من لا تربطه بأوساط العمل أية رابطة . فلا هو منهم . ولا من بيئتهم ولا من مستوى حياتهم .

لكننا حقيقة فى بلاد العجائب ، نجد الغنى يدافع عن الفقير ويستمطر الدمع من أجله ، ونجد العالم العظيم يدافع عن ضحايا الإهمال والجهل ، ونجد من لا عمل له فى الحياة أبدا إلا مظهرها والتمتع بها ينتقد أساليب الحياة عند العمال والفقراء ، ويشكو من زيادة ساعات العمل وإرهاق العمال ، وأظننى فى هذه المناسبة لست فى حاجة أبدا لذكر الأمثلة على صدق ما أشاهد ، والمستمعون من العمال أو من غيرهم يعرفونهم جميعا كما أعرفهم ، ويلمسون فيهم ما ألمسه .

إننا لا ننكر أبدا أن يتقدم كل مصلح إلى الميدان . فيبذل النصح ويسدى المشورة .

وليس بيننا من يدعى الاعتصام من الخطأ أو القصور ، وليس فينا من لا يحتاج للرأى السديد والتوجيه الصحيح ، وليس فينا من يسمو على طبيعة الإنسان وقصوره مهما أوتى من الحكمة والقدرة ، لكننا جميعا ومنا العمال وأصحاب الأعمال ، نطالب بالإخلاص ونزاهة القصد . وعمل الخير للخير ، والتحدث عن الإصلاح للإصلاح ، لا للشهرة ، ولا لإرضاء الشهوة ، ولا لمجرد التجريح والتعييب .

نحن جميعا فى بداية نهضة جديدة نخطئ ونعاود الخطأ، ونحتاج قطعا للرأى الصائب والتوجيه السليم كما نحتاج لقسوة الزمن فى التجارب، وهى أعظم دروس الحياة فلا يضيرنا أبدا أن ينتقد عملنا فى كل يوم متى توفر حسن النية وسلامة القصد .

وليس هذا وحده هو ما أريد إلفات النظر إليه، بل إنى أعود لبيئتنا الأصلية، وهى العمال وأصحاب الأعمال، فكلاهما له موقف غريب أيضا .

تنظم العلاقة بين العامل وصاحب العمل فى كل بلاد الدنيا بالتشريعات المختلفة، ونحن نتبع نفس الطريقة كغيرنا، ولكننا نجد أن كل التشريعات التى صدرت تقريبا لم ترض طوائف العمال، ويقولون دائما بقصورها عن تحقيق أغراضهم، وضمان العدالة المطلوبة لهم.

كذلك أصحاب الأعمال، لا يرضون بها ويعترضون حتى على إصدار التشريع ذاته، بحجة أن أوانه لم يأن بعد، أو أنه يعتبر طفرة سريعة .

ولست أدرى فى الحقيقة كيف نرضى هؤلاء، أو هؤلاء، وإنما نحن نكتفى بارضاء الضمير، فالتشريع كقاعدة للتعامل مهما كان فيه من القصور أو الطفرة خير من ترك العلاقة بلا قاعدة أو نظام أو قانون، والرجوع إلى حكم القانون خير من تحكيم الظروف والملابسات على أى حال، وعلى كل فقد رأت الحكومة الحاضرة ارضاء للطرفين أن تعيد إنشاء مجلس العمل الاستشارى الأعلى وفيه يمثل العمال كما يمثل أصحاب الأعمال، وهى تعرض على هذا المجلس كل تشريع أو تنظيم قانونى قبل تنفيذه، لكى تتعرف وجهة نظر الطرفين، وأعتقد أن فى هذا ارضاء لما كان الرضا .

هناك نقطة أخرى، أقيد بها الخيطة للمستقبل والنظر إلى ما سيواجهنا من صعوبات البطالة، وضعف مستوى الانتاج فى الصناعات المحلية بالقياس إلى ما ينتظرها من منافسة أجنبية، بعد فتح باب الاستيراد أو التصدير من دول أوروبا وأمريكا . وقد مرت علينا فترة الحرب ونحن مشتغلون بزيادة كمية الانتاج من كل نوع، فلم تكن لدينا الفرصة لتحسين الانتاج فى ذاته، مما قد يوجد صعوبة لدى الصانع أمام المستهلك وهو يعرض بضاعته المحلية أمام الانتاج الخارجى .

هذه كلمة عامة قصدت أن أمهد بها لتفاصيل الاحاديث المقبلة عن العمل والعمال، فى مثل هذا الموعد من كل أسبوع ولمدة ثمانية أسابيع، منى ومن حضرات زملائى فى مصلحة العمل. وأرجو أن نوفق إلى كثير من الخير الذى نرجوه للعامل ولصاحب العمل، وأن نوفق إلى إيجاد جو من الشعور بجدية الموقف، فلا يصح أن نلهو والعالم يجد استعدادا للمستقبل، ولا أن نغفل والشعوب الأخرى تستيقظ من كابوس الحرب لتبنى مستقبلها للسلام .

مشكلة العمل

للدكتور محمد غلاب

تمهيد :

من أهم المسائل التى تشغل بال الجماعات البشرية الراقية أو الآخذة فى أسباب الرقى ، والتى تقلق راحة المصلحين فيها وتقض مضاجعهم بسبب ما تركز فيها من مشكلات اجتماعية وخلقية معقدة ، وما أثير حولها من مجادلات عنيفة ، هى مسألة العمل المتشعبة الأغصان التى تفرعت عنها معضلات المهن والحرف ، والمطالبة من جانب ذوى الأعمال بأداء الواجب وما ينجم عنه من إجادة وإتقان ، ومن جانب العمال بنيل حقوقهم التى لا تزال تكثر ويتسع مداها كلما اجتذبت المدنيـة الشعوب إلى مضاعفة الحاجات وتعقد المطالب الاجتماعية . ولهذا كله يجب على معالج الإصلاح أن يبدأ سيره بإيضاح مشكلة العمل وبسط مظاهرها المختلفة فى ضـوء المبادئ الاجتماعية والخلقيـة المتينة التى تضمن للأمم ثباتها ، وللأنظمة استقرارها ، وللجماعات هدوءها ورضاءها ، ولمختلف الطبقات سعادتها ورخاءها . وهاك إلمـاعة خاطفة لهذا الإيضاح :

(١) تطور العمل :

إن العمل من الحيثيـة الاجتماعية المحض هو ملء الوظائف الاقتصادية التى ترمى إلى تحقيق المطالب المـادية التى يحتاج إليها الأفراد الذين يعيشون فى الجماعة ويذعنون لضروراتها وتقاليدها . ولا ريب أن نظرة عاجلة على نشأة المجتمعات البشرية تبين لنا كيف أن الوظائف الاقتصادية قد امتزجت منذ بداية تلك المجتمعات ببقية الوظائف الاجتماعية الأخرى ، وأنها جميعها قد انغمست فى وسط الحياة الدينية . فمثلا نشاهد أن صيد الأسماك والفنص وتربية الحيوانات والمقايضة وما إليها من الوظائف البدائية ، ترتدى كلها ثيابا متجانسة من العقيدة وطقوسها العملية ، أو من النسكات التطبيقية ، غير أن أولئك البدائيين لم يلبثوا أن شرعوا يفكرون فى حاجاتهم المـادية المـاسة بهيئة أعمق وأشـد اتساعا ، فأخذوا يدبرون شؤونهم بطريقة أكثر استقلالا . ومن هذه التدبيرات المختلفة نشأت فى الإنسانيـة أنواع متباينة من الحياة نستطيع أن نقول عنها بوجه عام : إنها كانت مبـدأ الصعود التدرجى ، ولكن ليس معنى هـذا أن كل الجماعات البشرية قد مرت بكل تلك التدرجات ضرورة ، كلا ،

وإنما ذلك قد لوحظ لدى عدد من الشعوب فاتخذه علماء الاجتماع نموذجا اهتدوا بضوئه فى دراسة المجتمعات التى لم يعثروا على أنماط تطوراتها . وأيا ما كان فها هو ذا بيان تلك الأنواع من الحياة الاجتماعية .

(ا) الشعوب اللاقطة — وهى التى تعيش مما تلتقطه من حولها من الثمار الطبيعية وجذور النباتات والقواقع والحشرات وما شاكل ذلك، ولا تزال هناك شعوب منحطة تعيش إلى الآن على هذا النحو .

(ب) الشعوب الصائدة أو القانصة — وهى التى تحيا مما تصطاده من الأسماك أو تقتنصه من حيوانات البر وطيوره ، وكثير من الأمم التى أصبحت اليوم على قمة المدنية قد بدأت حياتها العمرانية على هذا النسق . ثم تطورت فصعدت فوق درج سلم الرقى حتى كادت تبلغ منه الذروة كبعض شعوب أوربا .

(ج) الشعوب الراعية — وهى التى تعيش من تربية الحيوانات واستثمارها كالشعوب السامية .

(د) الشعوب الزراعية — وهى التى تستغل الأرض فتستنبت فيها أنواع النباتات من البقول والخضر الضئيلة المحدودة إلى حقول الإنتاج الضخمة الواسعة التى تموّن بها بلادها وتصدر منها إلى غيرها .

(ه) الشعوب الصناعية — وهى التى تعتمد على الصناعة كمورد أساسى لحياتها . ومنشأ هذه الصناعات فى الأمم هو أنه عند ما تنشأ فى البلاد الزراعية مدن تحتاج بالضرورة فى تجميلها إلى فنون أرقى مما هو مألوف فى القرى ، فيؤدى ذلك إلى نمو الصناعة وتطورها وزيادة المقبلين عليها والراغبين فيها، كما يؤدى إلى ارتحال بعض محترفيها إلى المدن وانفصال البعض الآخر المقيم فى القرى عن الزراع . وهكذا بدأت الصناعة تقوى ويتسع مداها حتى تحوّلت بسائطها البدائية إلى مركبات ذوات أجزاء مختلفة ثم تطورت إلى مصانع معقدة متشعبة النواحى ظهرت طلائعها فى القرن السابع عشر ثم تابعت الرقى إلى أن اكتشفت العقول قوى البخار فالكهرباء فالآلات الميكانيكية فانقضت عليها انقضاضا مريعا واستخدمتها فى إنجاز منتجاتها، وهكذا استمرت الصناعة تعدو إلى الأمام حتى عز سلطانها وظفرت بالصدارة فى الاستيلاء على أهم أزمة الحياة الاقتصادية التى هى العمود الفقرى للحياة الاجتماعية .

ومن هذه الإلمامة الوجيزة يبدو جليا أن العمل الإنسانى ينمو ويمتد ويتعقد بنمو حاجات الجماعة وامتدادها وتعقدها ، وهذا يتطلب نظرة عجلى فى تنظيمه وتقسيمه قبل محاولة حل مشكلاته لكى يتأسس البحث على دعامة متينة وإليك هذه النظرة .

(٢) تقسيم العمل

إذا كانت الوظائف الاقتصادية قد انفصلت منذ زمن بعيد عن بقية الوظائف الاجتماعية فإن الذى لا ريب فيه هو أن تقسيم العمل بالمعنى الكامل لهذه الكلمة أو التخصص فى الوظائف الإنتاجية الذى ينتهى إلى تكوين المهن وتحديدها بهيئة قاطعة تحول دون الخلط بينها — هو حادث جديد نسبيا فى تاريخ الإنسانية ، إذا أن الجماعات البدائية والأسر الأبوية الأولى والقبائل الجيرمانية كانت تنتج هى نفسها كل ما هو ضرورة لوجودها ، بل إن أثر ذلك لا يزال إلى اليوم موجودا فى القرى المنعزلة التى لم تساهم فى المدنية بنصيب موفور حيث نشاهد فى بعض الأسر مثلا الرجل يزرع الحبوب والمرأة تطحنها على الرحى ثم تعجنها وتخبزها ، كما نرى الشيخ يجز أصواف أغنامه ثم يغزلها وينسجها وزوجته تخيطها ، وهكذا كلما كانت البيئة أقل حظا من المدنية كان العمل بينهما خليطا مهوشا لا يكاد المرء يتبين من التحديد فيه أكثر مما يختص به كل من الجنسين دون الآخر ، ولا ريب أن ذلك التمييز البسيط هو أيضا يختلف باختلاف مستويات البيئات والجماعات وحظوظها من التقدم والمدنية ، ولكن يمكن أن يقال بوجه عام : إن الرجال كانوا ولا يزالون يختصون أنفسهم بالأعمال التى تعتبر فى نظرهم نبيلة كالصيد والقنص وتربية الحيوانات ، على حين يتركون للنساء القيام بالأعمال الدنيا كالعناية بالمنزل وإعداد الطعام وما شاكل ذلك ، وفى بعض البيئات تعتبر زراعة الأرض من الحرف الدنيئة التى توكل إلى المرأة ، ومن المحتمل أن مصدر هذه التقسيمات يرجع إلى عقائد غابرة عزبت عنا تفاصيلها وإن بقيت لدينا دلائلها ، وهى الغرابة وعدم الاستناد إلى مبرر معقول وغيبة الانسجام من أنحائها .

أما الجماعات المتطورة ، فان تقسيم العمل فيها يعتمد على وجود الطبقات التى تخصصت كل منها فى وظيفة معينة يتوارثها أفرادها خلفا عن سلف ، وفى هذه الحالة يكون المولد هو الذى يحدد المهنة والحرفة ، ولا جزم أن أساس نظام الطبقات هو أيضا أساس دينى ، إذ أن لكل طبقة قواعد مأخوذة من طقوس قديمة محتها السنون بل القرون ، ولم يبق منها إلا ما يميز بعض الطبقات عن البعض الآخر ، ومما يلفت النظر أن هذه الميزات ترتدى دائما ثوب الحظر والإباحة ، وهذا هو اللون الدينى العتيق ، وأنصع برهان على صحة هذه النظرية ما نشاهده فى الهند إلى الآن من بقاء نظام الطبقات على الحالة البدائية النقية الموسومة بالطابع الدينى الذى يزعم فى صراحة أن الطبقات الإنسانية بطبيعتها أربع ، وترتيبها على النحو الآتى : الأولى هى طبقة الكهنة ، وقد خلقت من رأس براهان ، والثانية هى طبقة الجند ، وقد خلقت

من منكبيه وذراعيه ، والثالثة هى طبقة العمال والزراع ، وقد خلقت من نخذيه ، والرابعة هى طبقة الأرقاء ، وقد خلقت من قدميه ، وهذا الاختلاف فى المنشأ هو أساس اختلاف الطبقات الاجتماعية ، ولا ريب أن هذه الأسطورة لا يمكن أن يبتدعها إلا الكهنة ، لأن طابعهم عليها واضح .

ومهما يكن من الأمر فإن الطبقة الأولى هى التى كانت مستمتعة وحدها بجميع الحقوق الدينية وبامتياز تأويل "القيدا" أو جميع الكتب المقدسة واحتكار شرح كل كتب الأدب والعلم وجميع نواحى الثقافة ، على حين كانت الطبقات الأخرى محرومة من هذه الحقوق حرمانا يتفاوت بتفاوت درجاتها .

أما فى الصين فإن الجماعات قد لطفت هـذا النظام بعض الشئ وضيقت الهوة التى كانت شاسعة البون بين الطبقات . ولقد كان النظام الفرنسى القديم مثلا يقضى بوراثة المهن وانتقالها من الآباء الى الأبناء خشية تدهور الأسر ، أو رغبة فى الاحتفاظ بامتيازاتها ، نعم كانت هناك من حين الى آخر تطورات تلحق الجماعات فتجعلها تغير وظائفها ، ولكن هـذه التطورات كانت كليـة جماعية أكثر منها جزئية أو فردية ، اذ كان من النادر أن يشاهد المرء الابن يهجر وظيفة آبائه وأجداده ليتبع رغبته الشخصية أو اتجاهه الخاص .

ومما يسترعى الانتباه أن هذه الظاهرة الاجتماعية لا تزال توجد الى الآن فى مصر ، ولا سيما فى القرى ، حيث يشاهد الانسان حرف التجارة والحدادة والصباغة والحياكة والبناء ومثيلاتها وراثية تنتقل من الأجداد والآباء الى الأبناء والأحفاد . ولاجرم أن هذا كله من آيات الرجعية والجمود .

وأما الجماعات التى فازت بحظ وافر من التطور ، فان تقسيم العمل فيها ، أو بعبارة أدق : التخصص فى المهن والحرف لا يتقيـد بنظام معين ، بل يسير طبق الانعطاف الطبيعى للفرد والانجاة الفطرى لعقله ونفسه . ومن أجل تحديد هذا الاتجاه وجدت المناهج التى بها يسترشد المربون فى معرفة غايات الناشئين ليعينوا لكل واحد منهم مهنة على ضوئها .

على أن هـذا الاختصاص الذى أسلفناه — سواء أكان جماعيا أم فرديا — هو اختصاص مهنى فحسب ، أى أنه متسع بعض الشئ ولم يصل الى أقصى مراتب الضيق . وينبغى أن ننوه بنوع آخر من الاختصاص هو أضيق حدودا وأشد انحصارا ، وهو ما يدعى بالاختصاص الفنى الذى ظهر مع ظهور المصانع المعقدة والذى يقسم الحرفة الواحدة الى عدة أجزاء متمايزة يسند كل جزء منها الى فرد أو عدة أفراد . وبيان ذلك أنه لما كان كل عمل صناعى مؤلفا من عدد من الحركات فقد عزل الفنيون القائمون بالتوجيه على أن يجزئوا تلك المجموعة من الحركات الى أبسط ما يمكن من الأجزاء ، وأن يكلوا هـذه الأجزاء الى عمال بعددها لكى لا يكون لدى كل واحد منهم الا عمل بعينه يردده دائما دون تغيير ولا تبديل . ولقـد شاهـد "آدم سميث" هذا التجزئ الفنى للعمل فى أحد مصانع

الدبابيس فأوحى اليه منظره تلك الفكرة البديعة التي أثنى فيها على هذه الطريقة ثناءا عاطرا والتي طالما استشهد بها الاقتصاديون فى تأييدها .

(٣) النتائج الاجتماعية والخلقية لتقسيم العمل .

ان تقسيم العمل فى أية صورة من صوره هو بلا ريب ظاهرة عظيمة الأهمية لما تنتائج اجتماعية وخلقية خطيرة . وينبغى أن نعلم بدءا أن الاختصاص المهنى خير كله ولا شر فيه بحال ، اذ أنه ينتج رقى الجماعة وتقدمها بخطوات واسعة نحو الاجادة والاتقان كما ينتج متانة كيان المجتمع وتماسك أجزائه وبيان ذلك أنه ما دامت الجماعة دون اختصاص فانها تبقى متشابهة الاجزاء ، متماثلة المستويات ، ولا يكون فيها اى مجال لظهور المواهب الخاصة ، بل ان الفرد فيها يمحى امحاء يوشك أن تكون تاما حيث يبتلعه النموذج العام الذى لا يختلف لونه ولا تتبدل صورته ، والذى هو دائما منحضر فى بيئة جامدة شبيهة بالحلقة المفرغة التى لا يعرف المرء طرفيها ولا يفرق بين أمسها ويومها . وتلك هى الحالة التى يمكن أن ندعوها كما دعاها العالم الاجتماعى الفرنسى " دوركيم " بالتماسك الميكانيكى ؛ وهو التماسك الجامد الذى تأسس على التشابه التام بين الوجدانات ، والاتفاق الكامل فى المشاعر والأفكار ، وبالإجمال حيث يفكر الجميع ويشعرون ويعملون على نهج واحد ، ولكن الاختصاص المهنى ينقذ الجماعة من هذا الركود الذى يصيرها عقيمة مجدبة ويدفعها الى الخصوبة والإنتاج دون أن يمس روابطها بأدنى تفكك ؛ بل على العكس من ذلك هو يجعل التماسك الاجتماعى أشد تعقدا وأكثر متانة مع ازدياد قوته ؛ إذ أنه يتحول من تماسك ميكانيكى ضيق إلى تماسك عضوى عميق فى أى مؤلف من أعضاء يختلف بعضها عن بعض باختلاف الأدوار التى تقوم بها ، والفوائد التى تنتجها ، ويذعن الصغير منها للكبير ويقف كل منها عند حدوده الطبيعية المعينة . وفى هذه الحالة يكون ارتباط أفراد المجتمع مؤسسا على الطبيعة الخاصة بالنشأة الاجتماعية لكل منهم ، لا على دعامة العصبية البدئية . وبهذا تتخلص بيئاتهم من الأقسام بسمة القرابة والمولد وتطبع بطابع المهنة وهو أقوى الروابط وأكثرها أثرا فى النفوس . ولهذا طالما شاد بذكره الكتاب الغربيون وسجله الشعراء فى قصائدهم البديعة . ومن أمثلة ذلك قصيدة الشاعر الفرنسى الكبير "سولى — برودوم" الخالدة التى يقول فى ختامها ما يلى :

"لقد عرفت أنه لا يستطيع أحد فى عالمنا هذا الاستغناء عن بقية الأناسى الآخرين ؛ ومنذ ذلك اليوم أحببتهم جميعا" .

هذه هى نتائج الاختصاص المهنى ، أما الاختصاص الفنى فإن نتائجه ذات وجهين أحدهما خير نافع ، والآخر شر ضار ، إذ كما أن له ثمرات اقتصادية هامة ، له أيضا أضرار اجتماعية وخلقية فادحة لا يمكن الإغضاء عنها ولا الاستهانة بها ، إذ أنه — مع التسليم

بفوائده الاقتصادية العظيمة الناجمة عن المهارة الاكتسابية التي يخلعها على العامل والقوة الانتاجية التي يضخمها على عمله — يوجد فيه شر أخلاقي واجتماعي جسيم ، وهو تحويل هذا العامل نفسه إلى أداة صماء تؤدي وظيفة آلية ، والنزول به الى صفوف اللوالب ، أي أن إنتاجه يزيد بقدر ما يقل تفكيره . وفي هذا يقول أليكسي [1] دي توكفيل " :

" إن شخصية الانسان فيه تتدهور وتتلاشى بقدر ما تتكامل فيه شخصية العامل " .

غير أن المذاهب الاقتصادية العصرية التي تعنى بتنظيم الأعمال قد تكاتفت على تشجيع هذا الاتجاه الأسيف الذي سيقضي على تلك البقية الضئيلة الباقية لدى المجتمع من معاني الإنسانية . ومن الأمثلة البارزة في هذا الشأن مذهب " تيلور " ذلك المهندس الأمريكي الذي وضع تلك النظرية الآلية التي ترمي إلى تحصيل أكبر فائدة من إنتاج العامل عن طريق تقسيم أعماله إلى حركات بسيطة تجرى في لحظات محددة و إلغاء جميع الحركات التي لا تنتج شيئا .

ولقد غالى صاحب هذه النظرية في وجوب تحويل العامل الى أداة مغالاة دفعت كثيرا من الكتاب إلى السخرية منه في أساليب لاذعة إلى حد أن صور أحدهم عاملا من هذا النوع كان جالسا أمام آلة العمل التي تكاد تشبهه أو يكاد يشبهها فانشغل عن مهمته فاضطرب العمل اضطرابا شديدا كانت له نتائج ضارة .

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

---

(١) هو كاتب سياسي فرنسي ولد في سنة ١٨٠٥ وقد اشتهر بالنبل والسمو اشتهارا حمى له احترام جميع الأحزاب وتقديرها ، وهو مؤلف كتاب " الديمقراطية في أمريكا " الذي كان له من الأثر ما لا يخفى على المشتغلين بالحياة الاجتماعية في القرن التاسع عشر ، وأخيرا توفي في سنة ١٨٥٩

الفقـــراء والتعليم

للأستاذ محمد عطيه الابراشى

هل الفقراء ليسوا فى حاجة الى التعليم ؟

يقول روسو فى مقدمة كتابه "أميل" "الفقراء ليسوا فى حاجة الى التعليم" وهو يقصد بهذا أنهم ليسوا فى حاجة الى نوع التعليم الذى يتعلمه الأغنياء ، ومع هذا فالتربية الطبيعية التى نادى بها روسو ينبغى أن تعد الانسان لجميع شؤون الحياة من غير تفرقة بين الأغنياء والفقراء فى التعليم ، فالغنى قد يصبح فقيرا والفقير قد يصير غنيا ، فلا معنى لجعل التعليم مقصورا على طبقة دون أخرى ، وقد اختار روسو تلميذه "أميل" من أسرة غنية ليكون منه رجلا ، وفى نظره أن الطفل الفقير يستطيع أن يصير رجلا بنفسه ، ولنفسه لهذا قال : " الفقراء ليسوا فى حاجة الى التعليم " ، أما نحن فنرى أن نعطى الفقير الفرصة كما أعطيناها الغنى وأن يعلم كل منهما التعليم الذى يميل اليه ، وألا يكون الفقر عقبة فى سبيل تعليم الفقراء ، وإننا نريد من تعليمهم أن يكونوا رجالا يقدرون قيمة الوقت ومعنى العمل وأداء الواجب وأن تكون منهم أعضاء ينفعون أنفسهم وبلادهم . فهؤلاء الأطفال المساكين أبناء الأسر الفقيرة هم من أبناء الانسانية ، وفى حاجة الى من يدافع عنهم ويطالب بحقوقهم ويعمل لصالحهم ، فقد نجد بينهم نفوسا طاهرة وعقولا ذكية ولكنها مهملة لا تجد من يصلحها ويخرج ثمارها ويظهر ما خفى فيها من نبوغ وعبقرية ومهارة وحكمة . قد تظهر فى الطفل الفقير علامات الذكاء من الطفولة ، ولكن ما الفائدة من ذكائه إذا أهملناه فى الوقت الذى ظهر فيه الميل وحب التعليم ؟ انى أشبه سد الطريق فى سبيل من يرغب فى التعلم من الفقراء فى الوقت الذى يشعر فيه بحب العلم والدراسة برجل أعطى طفلا قطعة من الخبز أو الحلوى فاستلذها الصغير فمد يده يستزيده من فضله كى يشبع نهمته فضربه على يده وقال له :

"إنى أعطيتك لقمة ، ويجب أن تكفيك هذه اللقمة ما حييت فاذهب الى حال سبيلك" .

وقد أخطأ روسو فى إهمال حق الفقراء فى التعليم ، وقد نسى أن الفقراء أشد حاجة الى التربية والتعليم من الاغنياء ، فالاغنياء قد يجدون من وسائل التربية المنزلية ما يغنيهم عن التربية المدرسية ، ويستطيعون الاعتماد على ثروتهم فى تعليمهم وحياتهم ، ولكن الفقراء قد حرموا التربية المنزلية وليس لديهم شىء يعتمدون عليه ويساعدهم فى كسب العيش فى حياتهم لقد حرموا التربية المنزلية فيجب ألا يحرموا التربية المدرسية ، لقد حكم عليهم الفقر فيجب ألا يحكم عليهم أيضا بالجهل ، لقد حرموا المال فيجب ألا يحرموا العلم ، وليست هذه بالمنزلة الأولى ، روسو ، فله كثير من المغفورات ، فاذا لم يستطع الآباء أن ينفقوا على أبنائهم

وبناتهم فى سبيل تعليمهم ، فمن الواجب على الدولة أن تقوم بنفقاتهم فى تعليمهم ، وإذا لم نستطع أن نوجد المدارس الكافيـة لهم ففى الاستطاعة أن نعلمهم ولو فى الخيام ، فتعليم الشعب خير وسيلة لترقيته ، فاذا أردنا رقى مصر وتقدمها والنهوض بها وتحسين مستوى المجتمع من كل ناحية من النواحى فليس أمامنا سبيل سوى التربية والتعليم ، ولا ينكر أحد الفرق الكبير بين الجاهل والمتعلم ، وأن التعليم هو الوسيلة الوحيدة لرفع مستوى الأمة وتحسين حال الفقراء منها ، وجعلهم أسعد حالا وأقوى صحة وأحسن نظاما .

ان التربية واجبـة لتنمية عقول الفقراء واسعادهم . وتعميم التعليم هو الأساس القوى الذى يجب أن يفكر فى تنفيذه كل من فى قلبـه ذرة من الحب والاخلاص لمصر . وليس من الصعب تحويل الأميين الى متعلمين والنهوض بالجهلاء الى طبقـة العلماء ، فبالمدارس وتعميمها نستطيع أن نقضى على الأمية السائدة فى البلاد فى بضع سنوات ، وفى بضع سنوات فقط . وان أرقى أمة هى التى تتخذ أحسن الطرق فى التربية والتعليم . ولا ينكر أحد ان أرقى الأمم هى الأمم المتعلمة التى توجب على كل فرد أن يتعلم وتهيىء له الفرصة التى بها يتعلم التعليم الذى يلائمه ، التعليم الذى يقود الشخص الى عيشة راضية ، وحيـاة شاملة ، التعليم الذى يؤدى الى الكمال ، فلا خير فى علم لا يؤدى الى الفضيلة . فالتعليم خير منحة يمكن أن يمنحها الفقراء .

والفقير فى حاجة الى العلم لأن حيـاة الجهل حياة الموت ، والعلم وسيلة الحياة ، وهو الجناح الذى نستطيع أن نطير به الى السماء كما قال شكسبير . قال بسمارك بعـد الحرب السبعينية " لقد غلبنا جارتنا بمعلم المدرسة " ، فاذا أردنا الخير لمصر جعلنا التعليم عاما شاملا فقراءها وأغنياءها من غير تفرقة بين هؤلاء وأولئك ، وعنينا بالفقراء لأنهم العمود الفقرى الذى تعتمد عليه الأمم ، يجب أن نعلمهم ان أردنا أن تتبوأ مصر مركزها اللائق بين الأمم ، فان العلم سبيل الغنى والرقى . وهو أكبر وسيلة لرفع المستوى الصحى والاجتماعى ، والخلقى والعملى والاقتصادى . واو علمنا الأمة تعليما حقا لارتفع مستواها وقضينا على الجهل والفقر والمرض . يجب أن نعلم الأمة حتى يقل الفقراء منها ولا نسمح للأطفال بالعمل إلا بعد التعلم . يجب أن تعلمهم حتى تعدهم للكسب ولحياة أحسن من الحيـاة التى يعيشونها غير متعلمين . ويجب أن تعلم الأمة علم اليقين أن كل طفل سواء أكان فقيرا أو غنيا قد حصل على فرصة عادلة هى فرصة التعلم الذى يؤدى الى مستقبل سعيد وحياة طيبة وفى اعتقادنا أنه اذا صح أن تقول الحكومة للرجل الغنى الذى لا أطفال له " يجب أن تدفع ضريبة للتعليم بالمجان " فما لا ريب فيه أن تقول للأب الفقير الذى لديه أطفال " يجب أن ترسل أبناءك وبناتك الى المدرسة " .

ان العالم سائر بنجاح نحو التفكير فى الانسانية ، ولا وسيلة لانقاذ الناس من شر الجهل والرذيلة إلا بالعلم . فالعلم هو السبيل الوحيـد لسعادة الشعوب والأمم . ولم يكتب توماس

جيفرسون " الرئيس الثالث للولايات المتحدة الأمريكية أثمن من هـذه الكلمات " " إن التعليم الذى سيعم كل طبقة من أبناء شعبنا من أغناهم الى أفقرهم سيكون أول شئ يتعلق بالجمهور الذى أحبه، وأفكر فيه . ان الشعب الذى ينتظر أن يكون حرا جاهلا فى وقت واحد، شعب ينتظر ما لم يحدث ولن يحدث . فحيثما تكن الصحافة حرة ويكن كل انسان قادرا على القراءة والكتابة تكن الديموقراطية آمنة " .

وان نظرة واحدة الى تاريخ العالم تبرهن لنا على أن كثيرا من العظماء والأدباء والعلماء والأطفال من قادة الفكر والعمل كانوا فقراء ، فتعلموا وثابروا حتى وصلوا الى أوج العظمة والرفعة . ومنهم أبو نصر الفارابى ، والشيخ محمد عبده ، وعلى باشا مبارك ، وهايل العبرى ، وصمويل جونسون ، واللورد ماكولى ، وشارلز دكنز ، وابراهام لنكلن ، ورمزى ماكدونالد ، واللورد بركنهد ، والمستر روبرت دوجن .

ان التعليم حق توجبه الانسانيـة ، فكما أن من حقوق الانسانيـة الحياة ، والملكية ، والحرية ، فكذلك التعليم حق من حقوق الانسانيـة ، يجب أن لا يختص به فرد دون آخر وأن يعم الفقراء والأغنياء ، بنين وبنات ، مدنيين وقرويين ، بحيث تتاح فرصة التعليم لكل مصرى ومصرية .

فالتعليم هو الحق الأول الذى توجبه الانسانية ، وتستدعيه المدنية ، ويتطلبه حق المساواة بين الأفراد فى الفرص والتعليم . فليس من الإنسانية أن يحرم هؤلاء الأفراد لأنهم أغنياء ويحرم هؤلاء التعليم لأنهم فقراء ، ولو اقتدينا ببعض الأمم الراقية فى اتاحة الفرصة للأذكياء من الفقراء التعليم ، فى أن تتولى الدولة الانفاق عليهم فى جميع مراحل التعليم ، على أن يردوا لها ما أنفقته عليهم مدة دراستهم بعد الابتداء فى الحياة العملية — لقمنا بأكبر عمل تقتضيه الانسانية ، وتحتاج اليه مصر فى العصر الحاضر ، فان مصر إن كانت فى حاجة ، فهى فى حاجة كبيرة إلى تعميم التعليم ، فى أقل وقت ممكن ، فبالتعليم والتعليم وحده يمكن اصلاح مصر من جميع وجوه الحياة ، فنحن لا نقول فى فتح مدرسه اغلاق سجون فحسب ، بل فى فتحها نتطلب حياة كاملة بأجلى معانيها فى الحياة المصرية والمجتمع المصرى .

حقا سيبارك الله الشعب الذى يزيل أوديته وقراه بالمدارس ، فيبارك الله الجيـل وسيبارك الله الأغنياء الذين يخصصون شيئا من ثروتهم للتعليم ، فيحيون به أرواحا أماتها الجهل وقتلتها الأمية ، وقضى عليها الفقر ، ولا ضريبة أكثر شرعية من الضريبة التى توضع وتجبى لازالة الجهل واثارة العقول واحياء الأرواح ، وتكوين رجال ونساء يخدمون بلادهم وأنفسهم .

إن مصر قد مضى عليها سنوات ، وسنوات ، وهى تصرخ وتستغيث بمن يعمم التعليم فيها ، ولكن هل تجد من يغيثها ويتقذها ويداويها من دائها ، داء الجهل الذى طالما اشتكت

منه، وكثيرا ما نألمت منه ؟ نعم ستجد أبناء برره ، أوفياء مخلصين، يتألمون لألمها ويشعرون بشعورها ، ويحققون رغبتها ، وينقذون الفقراء بها من شر الجهل المنتشر فيها ، اذهب إلى القرى والأحياء الوطنية فى كل مدينة من المدن ، ثم انظر فى كل طريق تجد كثيرا من الأطفال الفقراء فى سن التعليم أهملوا ليتربوا فى الطريق ، أو يسألوا الناس، فاذا ما كبروا وبلغوا مبلغ الرجال اتخذوا النشل والسرقة والإجرام حرفة لهم، وفى النهاية يسجنون ، ولو قمنا بتعليمهم تعليما حقا لأنقذناهم من الفقر وذل السؤال واقتصدنا كثيرا من الأموال التى تنفق على المحاكم والسجون . لو علمناهم لقلت السجون، وقل عدد المحاكم، فهل نلومهم أو نلوم أنفسنا لأننا أهملناهم ولم نعلمهم التعليم الذى يلائمهم ، ويعدهم بأن يعيشوا عيشة راضية ؟

يجب أن يأخذ التعليم قسطه من العناية فى نظر الشعب ، وأن يوقن كل منا أن التعليم يحل أرفع مكان وأكبر مركز فى عقول الأمة . يجب أن يعمل كل وطنى على أن ينال كل فقير نصيبه الوافر من التعليم ، فعلى الأغنياء واجب مقدس هو التبرع بنفس راضية لتعميم التعليم ، وعلى الفقراء من الآباء واجب آخر لا يقل عن واجب الأغنياء هو أن يرسلوا أبناءهم إلى المدارس ليتعلموا، وأن يحملوهم على المواظبة ليتنفعوا بالدراسة ، إن مصر تنتظر من كل مصرى أن يقوم بواجبه نحو القضاء على الأمية ونشر العلم وتعميم التعليم بين الفقراء والأغنياء على السواء .

ولما كانت الكثرة فى القرى والأرياف لا تقدر قيمة التعليم وجب أن نجبرهم على تعليم أولادهم ومن حيث إن روح حب الخير والاحسان التى كانت منتشرة فيما مضى بين الأغنياء فى مصر يوم ان كان كثير من محبى العلم والدين يقفون أوقافا لنشر العلم والتعليم للأزهر ومجالس الأوقاف — قد أصيبت معدومة تقريبا فلا سبيل للحصول على المال الكافى لتعميم التعليم إلا فرض الضرائب، ونحن على ثقة بأن الأمة متطلعة الى التعليم وهى تقابل هذا الأمر بالثناء والتشجيع .

وإذا قلنا بتعليم الفقراء التعليم الابتدائى بالمجان — فاننا نقول يجب أن يعلم الأذكياء منهم التعليم الثانوى ، ثم التعليم العالى، ولو بالدين على أنفسهم، حتى تنتفع الأمة من مواهبهم، وقد اعترف المستر تشرشل فى كتابه " المعاصرون والعظماء " بأن من الواجب إعطاء الفرصة للأذكياء من أبناء الطبقات الفقيرة والمتوسطة فى كل سبيل من سبل التعليم والحياة ، ثم يقول " اننا لا ندرى ماذا كنا نفعل اولم يظهر من بيننا أمثال هؤلاء العظماء من أبناء الفقراء كاللورد بركنهد ، والمستر رمزى ماكدونالد ، وغيرهما من عظماء انجلترة " .

إننا لا نؤيد الرأى القائل بأن التعليم العالى للفقراء خطر على المجتمع ، ولا نؤمن بهذا أولئك المحبين لأنفسهم، القائلين بحرمان الأمة مجهود العنصر العامل المثابر فيها إن كان هناك من يقبل بحرمانهم التعليم العالى ، إن الأمة بأفرادها سواء أكانوا فقراء أم أغنياء،

فاذا وقفنا بالأذكياء من أبناء الفقراء عند باب التعليم الثانوى أو العالى كنا حجرا عثرا فى سبيل تقدم الأمة ورقيها . ان المجتمع يحكم عليه بالمدنية أو التأخر بالنظر الى مستوى الفقراء فيه . ولا يعد المجتمع راقيا الا إذا فكر فى حقوق هذه الطبقات الفقيرة من المصريين .

إن الفقراء يشعرون بما يشعر الأغنياء، ويحسون مايحسون ، ولهم من الحقوق مالهم، وعليهم ما عليهم ، فاذا شجعنا الأغنياء على التعليم العالى وجب أن نشجع الأذكياء من الفقراء عليه ، ولافرق بين الغنى والفقير إلا أن ذلك غنى وهذا فقير ، ولاعيب فى الفقير إلا أنه فقير ، إن كان الفقر يعد عيبا ، يجب أن نحل لهم ما أحل لغيرهم ولانحرم عليهم ما أحل الله لغيرهم ، فالناس سواسية كأسنان المشط ، ولافضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .

فاذا قرأنا التاريخ وجدنا أن العظمة كثيرا ما تنمو فى الأكواخ، وتجد تربة صالحة بين الطبقات الفقيرة والمتوسطة ، يجب أن نعلم الأذكياء من الفقراء التعليم العالى كى لا يقيد ذكاء طفل مصرى، وقد نجد من بينهم رجلا عظيما كابراهام لنكولن ، أو مصلحا مثل محمد عبده ، أو دكتور أو مثلا للعظمة العقلية مثل سعد زغلول "واللورد ما كولى" أو مثلا للأدب مثل المنفلوطى "جموبل جونسون" ، أو كاتبا عالما مؤرخا مثل "ه . ج ويلز" أو كاتبا روائيا عظيما مثل " جورج برنارد شو " أو كاتبا قصصيا مثل " أرنولد بنت "

يجب أن يعطى الأذكياء من أبناء الفقراء الفرصة ليتعلموا التعليم الابتدائى ثم الثانوى ثم الجامعى ، حتى ينالوا نصيبهم من الحياة ، فتنتفع الأمة بجهودهم وعزيمتهم وصبرهم، لقد حرموا العناية المنزلية فيجب أن نعوضهم ما فقدوه بالتربية المدرسية العلمية اذا سمحت لهم مواهبهم واستعداداتهم ، واذا أردنا رقى المجتمع المصرى وتحسين مستواه الصحى والاجتماعى والخلقى فليس أمامنا سبيل سوى التربية الحقة والتعليم الصحيح ، فان انصاف المتعلمين خطر على أنفسهم وعلى الأمة والنظام الاجتماعى، ومهما يكلف التعليم من النفقات فهو العلاج الوحيد لتحسين مستوى الشعوب .

يجب أن نشجع الأذكياء أينما وجدوا — ونفتح السبل أمامهم، ولانضع العقبات فى سبيلهم واذا وجد منا طائر وابتدأ يطير يجب أن نساعده على الطيران ، ولا نقص أجنحته بالنقد أو عدم التشجيع . إن الفقير الذكى اذا تعلم تعليما جامعيا ارتفع مركزه ومستواه فى الحياة ، ومن مصلحة الشعب أن يرتفع مستوى المعيشة والحياة الصحية والمساكن بين الفقراء ، فمن حياة الفقراء ومعيشتهم يمكن الحكم على مستوى الأمم، ولا تزال انجلترا تعد من العار عليها أن يكون بين أحياء السكان فى الناحية الشرقية من لندن أحياء قذرة ضيقة الطرق .

إننا لانريد تشجيع الأذكياء من أبناء الفقراء على التعليم العالى للمحافظة على حاضرنا بل لاعادة ماضينا ، ماضى قدماء المصريين ، وتحسين مستقبلنا .

ولو استطعنا أن نكلف مفتشى التعليم الالزامى اختيار أذكى أطفال المدارس الالزامية بكل أمانة واخلاص ، ووجدنا — مثلا — فى كل مدرسة طفلا واحدا ذكيا ، لتكون لدينا

أطفال أذكياء فى عدد المدارس الإلزامية وكانت لا تقل عن "٤٥٠٠ مدرسة" سنة ١٩٤٤ فى جميع أنحاء القطر المصرى ، إننا لو أخذنا هؤلاء الأطفال الأذكياء والحقناهم بالمدارس الابتدائية بالمجان ، أو أنشأنا لهم مدارس خاصة بهم تدعى مدارس الأذكياء ، وتعهدناهم بالتربية والتعليم الى آخر مرحلة ممكنة من التعليم العالى ، لتكون لدينا نخبة كبيرة من شبان تستطيع مصر أن تنتفع من مواهبهم وذكائهم ومقدرتهم وكفايتهم فى شق طريق الحياة ، والنهوض الى مستوى الأمم المتحضرة ، وعلى أكتاف هؤلاء الذين لا يعتمدون على شىء سوى ذكائهم ومواهبهم الفطرية ، ومقدرتهم العلمية ، يمكننا أن نستعيد مجد آبائنا الأقدمين . وأن من يوفقه الله لتنفيذ هذه الفكرة يقوم بأداء أكبر خدمة لترقية الشعب .

وبعد فنرجو أن يأتى اليوم الذى يعمم فيه التعليم بمصر وتصير نسبة المتعلمين مائة فى المائة ، لا لنحافظ على حاضرنا ، بل لنعيد ماضينا ، ماضى المصريين القدماء والحضارة المصرية القديمة ، وننهض بمستقبلنا .

ولله در المرحوم شوقى بك حيث قال فى قصيدة له :

هل علمتم أمة فى جهلها ظهرت فى المجد حسناء الرداء
باطن الأمة من ظاهرها إنما السائل من لون الاناء
نفذوا العلم على أعلامه واطلبوا الحكمة عند الحكماء
وأقرأوا تاريخكم واحتفظوا بفصيح جاءكم من فصحاء
واحكموا الدنيا بسلطان فما خلقت نصرتها للضعفاء
واطلبوا المجد على الأرض فان هى ضاقت فاطلبوه فى السماء

وإن كلمتى التى بها أرفع الصوت عاليا :

التعليم هو الوسيلة الوحيدة لرقى الأمة ، فعلموا الأمة جميعها فقيرها وغنيها ، والتقطوا الأذكياء من فقرائها ، وعلموهم فى جميع مراحل التعليم ؛ ولو بالدين على أنفسهم حتى تتبوأ مصر مكانها اللائق بها تحت الشمس ، علموا الأمة ! علموا الأمة ! علموا الأمة !

محمد عطيه الابراشى
المفتش العام بوزارة المعارف العمومية

النهضة القومية

فى ذكرى المليك الراحل [1]

للأستاذ محمود محمد صادق

تحتفل البلاد اليوم بذكرى عاهلها العظيم. مليكها الراحل الكريم. المغفور له فؤاد الأول — فتمر بالاذهان ذكريات عهده الحافل . الملئ بجلائل أعماله ، الزاخر بأياديه ومآثره .

حقا لقد كان ملكا قديرا بكل معانى الكلمة . سمت فيه الرجولة إلى أعلا مراتبها فهى الحزم والعزم والغيرة والإباء ، وعلت فيه الحكمة إلى أبعد شأوها فهى اللين والوداعة والعطف والكرم — كان ربان سفينة البـــلاد فى عهد طافح بالأحداث والمدلهمات ، تتناوبه الزعازع والأعاصير ، وتهب فيه الأقدار من جهات البلاد الأربع . فكان رحمه الله ميزان حسن التوجيه وسداد الرأى . هـذا العهد الطافح بالأحداث كان يتمخض عن ميلاد أمة و بعث شعب . شعب عريق فى المجد يطلب مكانه تحت الشمس. يطلب الحرية فى الخارج والداخل يطلب السيادة و يطلب الدستور . فى إثر حرب عالميـة عبثت بكل الأوضاع وخلال أزمات نفسية وفكرية واجتماعية واقتصادية آخذ بعضها بخناق بعض . فكان رحمه الله ذلك النسر الباسط جناحيه على أبنائه ، يظلها تارة و ينهض بها تارة أخرى . كان الأب الحنون الرحيم ، الشجاع المكافح — لا يهدأ ولا يستقر إلا أن يرى طيره وقـد اكتمل نموه وصفق بأجنحته فى عنان الأجواء. و إلا أن يرى راية البلاد خفاقة فى مشارق الأرض ومغاربها تحتل مكانها من كبد السماء.

ذلك المليك السياسى القدير — كان العـالم المشجع للعلم — كان المصلح الاجتماعى الأول — كان رحمه الله ممسكا بقبضة يده بكل خيوط النهضة يجذب و يرخى كلا منها بقدر فى اللحظة المواتية والفرصـة الآخذة الرابحة ، فى حنكة و بعد نظر وصواب بصيرة — فاذا ذكرنا اليوم مليكنا الراحل فانما نذكره ربانا للبلاد وأبا لهذا الشعب الوفى .

وضع رحمـه الله أسس النهضة على أمتن القواعد وأوطد الدعائم ، و بقى على الأجيال المتعاقبة أن تنهض بالبناء وأن تستكمل الصرح — بقى علينا نحن المصريين أن نتعهـــد هذا البناء بأسباب الوقاية من كل عبث وضعف وأن نعلو به طابقا بعد طابق — هذا الواجب القومى يجب أن يتكاتف الجميع على أدائه متعاونين متساندين مخلصين ، ذلك أن قضية الوطن فى أيدينا ، وأن جهود المجاهدين السابقين إنما هى أمانة فى أعناقنا ، ووديعة نحن مسئولون عنها أمام الله وأمام ضمائرنا وأمام الأجيال القـادمة ، وما مثلنا إزاء هـذا المعترك الدولى الصاخب بالتياس إلى عظمة الأمم و إلى سعة رقعـة الأرض إلا كقارب صغير فى محيط مضطخب تعاوره هوج الرياح فلا أمان ولا اطمئنان إلا أن يوجد تعاون وثيق قلبى بين جميع ملاحيه ، وطاعة خالصة متدفقة لربان هذا السفين حتى يسير قدما إلى بر النجاة .

---

[1] أذيعت بمناسبة الاحتفال بذكرى المغفور له الملك فؤاد الأول يوم ٢٨/٤/١٩٤٥

الاتحاد أو تذهب ريحنا — النظام والطاعة أو تعم الفوضى . الإخلاص والثقة أو تتخاذل القلوب والضمائر — العدل والإنصاف أو يسود الحقد والكراهية . القناعة والتضحية أو يستشرى الجشع والأنانية . التراحم والبر أو تستفحل القوة وتغلى مراجل النفوس .

ذلك أن الأمم لم تعد تعانى الخطر من خارجها بقدر ما تعانيه من داخلها ، باتت تعانى مشاكل الطبقات والأحزاب والمبادئ الاجتماعية والاقتصادية المتنافرة . هـذه المشاكل سوف تعيش لتكون حرب ما بعد الحرب ، فما بالك بأمة تجاهد لاستكمال استقلالها إذا نشبت فيها العلل والآفات أو تركت بذورها لتنمو ، وهى بعد فى مستهل حياتها الاستقلالية ، إن كل طعنة فى الظهر أو علة فى الأحشاء لن تدع جنديا يستقبل الميدان بعمدر عامر بالشجاعة والإقدام . يجب على هذه الأمة أن تطرح وراء ظهرها كل خلاف لتستقبل أمم العالم بوجه طافح بدم الحياة وحرارة المعتز الواثق حتى يرتفع صوتها عاجلا يوم تقرير المصير .

يجب أن نتعلم كيف نرتب مشاكلنا وأن نضع فى المرتبة الأولى مشكلتنا القومية ليكون لها الحل الأول ، حتى إذا ما فرغنا منها كان لنا من سعة الوقت وسلامة القصد ما يكفل باقى الحلول . ذلك أن مشكلتنا القومية تستهدف الآن وقتها الطبيعى بل فرصتها الذهبية ، وإنه لمما يطعن فى وطنية كل مواطن ألا يتناسى كل اعتبار إزاء مطلب البلاد الأسمى .

علينا بانكار الذات . علينا بتضحية الأغراض والشهوات . علينا بتضحية كل شىء لنصل الى أهم شىء . الى اعتراف العالم لمصر بما لها من ذات مكتملة وشخصية جديرة بكل اعتبار و إكبار ، وغنى النفس أننا ضحينا بالقليل من أجل الكثير و بالعرض الزائل من أجل المجد الخالد ، هذا المجد الذى سوف يضاعف من شخصيتنا إزاء العالم أجمع ، ويجعل كل مصرى يفخر بأنه مصرى .

نريد الاستقرار فى كل شىء . نريد أن تستقر أعصابنا وأن تهدأ نفوسنا وأن نزن الأمور بميزان العقل الهادئ المدبر ، نريد أن نستقر فى عواطفنا الجامحة فلا نحتكم إلا الى الضمير النزيه القانع ، نريد على الأقل أن يتهادر أبناء العمومة حيال كل طريب وأن نسوى أمورنا بعد أن نخلو الى أنفسنا — (١) نريد أن يستقر بينه وبين نفسه قبل أن يستقر بينه وبين غيره . لأن استقرار النفس هو أساس التفكير السليم والتصرف الحكيم وليس كامتلاك زمام النفس مولد طبيعى لحرارة العزم والحزم و شجاعة والإقدام وهى أسس كل نجاح .

أما ما نشهده اليوم فى مجتمعنا من السلوك المرتجل والتصرف العابر الحائر ، فليس مثله سلوك يؤدى الى الفوضى ، الى زعزعة الثقة بمقاييس الأمور وعدالة الأوضاع .

---

(١) نريد أن يستقر كل مصرى فى نفسه وفى عمله وفى علاقته وبنوداته و روحاته وحديثه وتفكيره .

هذه الفوضى وهذا الارتجال نجده فى تصرفاتنا كل يوم ، نجده فى البيت وفى الطريق وعند الموظف والتاجر والصانع والعامل — نجده فى جميع هيآتنا وجماعاتنا وفى مختلف الطبقات وعلى مختلف الوجوه — كأن ليس هناك من ضابط ولا قيد ولاحد — كأنما الحياة انتهاز الفرص وإرضاء الشهوات ومجاراة الأغراض — ولا يكاد يحد من هذه المغامرات الا المظهر ، مظهر تحاشى أغضاب القانون والعرف وتحاشى إثارة النقد ، أما بيننا وبين ضمائرنا فليس للجوهر ذلك الاعتبار الخليق باحترام النفس والانتساب الى الانسانية. وشتان بين رجل يحترم القانون ورجل يخافه — وشتان بين رجل يتحامى نقد المجتمع ورجل يفنى فى خدمته كل عصارة قلبه — وشتان بين رجل يخاف الله ورجل يخاف الناس — بل شتان بين رجل يحترم نفسه ورجل يعيش بالوجهين.

وأخيرا إن ماندعو اليه هو ذلك الشيء الذى خلق من أجله الإنسان — أن يكون الإنسان كريما على نفسه كريما على المجتمع كريما لبلاده — وأن يعرف أن هذه الحياة الفانية ليست إلا فرصة لازدهار الروح الانسانى وبلوغها خطوة الى الأمام فى معارج الكمال يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

سادتى . ليس هذا بحديث : حديث التخلق بالأخلاق القومية ، بالجديد ولا بالغريب على الآذان والأسماع ، لأنه حاجة الساعة . ولسان الواقع الملح ، وترجمان الحقائق الراهنة طالما هتف به فقيد البلاد الكريم . الذى نحتفل اليوم بجليل ذكراه ، وطالما ردده شيله العظيم . الذى نعقد عليه كل آمال المستقبل — ولأنه أيضا حديث كل قلب مصرى مخلص للبلاد . هو حديث الملوك وحديث الرعية ، حديث القادة وحديث الزعماء ، حديث كل محب لمصر الخالدة العاتية .

وختاما أتوجه من أعماق قلبى الى الجدث الطهور . جدث مليكنا العزيز الراحل . استمطر له أندى شآبيب الرحمة فى هذه الذكرى العزيزة على قلب كل مصرى .

والى جلالة شبله العظيم ، مليكنا المفدى فاروق الأول بأخلص آيات العزاء المجدد ، والى هذه الأمة التى عقدت كل عزائها على شبابه الزاخر بأعظم الآمال الحافل ، بمفاخر الأجيال ، مبتهلا الله أن يمد فى حياة الفاروق ، حتى تشهد البلاد على يديه تتمة ماصبت اليه روح فقيدنا العظيم .

محمود محمد صادق

مدير الدعاية والارشاد

بوزارة الشؤون الاجتماعية

الفنون وأثرها فى نظر المجتمع[1]

للأستاذ محمود محمد صادق

سادتى :

تعنى وزارة الشؤون الاجتماعية بكل نواحى الإصلاح الاجتماعى . وفى مقدمتها : العناية بوسائل النهضة الروحية .

و إنى لمحدثكم الليله عن وسيلة من كبريات هذه الوسائل وأفعلها . ألا وهى الانتفاع بالفنون فى ترقية المجتمع — ترقية ذوقه وشعوره وعاطفته وتقوية الروح المعنوى فيه .

يخيل الى كثير من غلاة المادين فى هذا العصر . أن الفنون هى صناعة من لا عمل له ، أو هى تكأة العاجز وحيلة المتخلف وراء الصفوف — هؤلاء الماديون لا ينظرون الى الحياة بالعين النزيهة المجردة . لأن عيونهم لا تستمد حاسة أبصارها إلا من أعماق بطونهم وجيوبهم .

أما الفنانون . أيها السادة — فيستعدون حاسة الأبصار من أعماق أرواحهم وقلوبهم وضمائرهم — يريد الماديين أن يتهالك الناس على الاتجار والمغامرة بكل شىء فى سبيل أى شىء من عرض الحياة الزائل وشهوات الدنيا الفانية — أما الفنانون فيريدون أن يعيش الناس أيضا بأرواحهم وعواطفهم من أجل المثل العليا فى حياة تسودها الهناءة والبساطة والرحمة المتبادلة — الماديون عاشوا ينفثون سموم الأنانية والجشع والشراهة وحب الذات فأورثوا المجتمع البشرى كل ما يعانيه اليوم من رذائل وشرور . كذب ونفاق وغدر وقسوة وحروب دامية ناشبة لا بين الأمم والطبقات وحدها ، بل بين أفراد الأسرة الواحدة ، بل بين العشير والعشير والصاحب والخدين — طغت الأنانية فأصبح كل فرد يقول أنا وحدى . فأظلمت الحياة إذ لا يمكن أن يهنأ الانسان وحده بنفسه . لأنه اجتماعى بالطبع . لاغنى له عن صديق وحبيب وأنيس وعشير . وهؤلاء ان تجمعهم أبدا جامعة تشوبها الأنانية وحب الذات . انما تجمعهم المحبة المتبادلة والتضحية وإنكار الذات — لذا أصبحت حياة الفرد جحيما من العذاب . عذاب القلق والوحشة والأرق النفسانى . لم يعد يشغله المجتمع بملايينه وقصوره وحدائقه ومغانيه ومباهجه . لأنه أصبح فى شغل عن هذا كله بأنه مهدد فى كل لحظة وفى كل آن . من كل شىء وفى كل شىء — ذلك أن المحبة قد فقدت والعاطفة قد قتلت والرحمة قد نزعت . فلا تعاطف بين الناس ولا إخلاص ولا بر ولا وفاء — فهل تطمح البشرية يوما أن ترى جحيما فى الدنيا أشبه بجحيم الآخرة من هذه الحياة التى نحياها ؟

(١) أذيعت فى سلسلة الإذاعات الثقافية للوزارة من محطة الإذاعة المصرية .

ها هى ذى الحروب مشتعلة — ها هى ذى القلوب مستعرة — ها هى ذى الأحقاد متفجرة — ها هو ذا الأخ يأكل لحم أخيه حيا وميتا — ها هى ذى الحياة تتآكل وتتفانى — ها هو ذا العويل الصاخب والعويل الصامت — عويل الأفواه وعويل القلوب — ها هى ذى الدموع المتحدرة والدموع المتحجرة — ها هى ذى العيون الزائغة والأبصار الحائرة — ها هى البشرية قد فشلت فى كل شىء ويئست من كل شىء وحارت حيرتها الكبرى .

فهل أغنتها مدنية المادة وحدها ؟ هل أغناها التزاحم على الثراء والمظاهر وامتلاء البطون وحشد الجيوب ؟ كل هذا لم يغنها فتيلا بل عاد عليها وبالا ونقمة — ذلك أنها تهالكت وراء المادة الفانية فارت فى طريق الفناء محفوفة بالشقاء — وأنها جانبت طريق الحياة الروحية الباقية فلم يكتب لها بقاء ولا هناء .

أما الفنانون أيها السادة فلم يكونوا يوما أعداء المدنية . بل هم دعاة المدنية الصحيحة — المدنية التى تعتمد على الجمال الروحى والتقدم الخلقى والثراء العاطفى — يريد الفنانون أن يمثل الناس بحياة الطير فى الأوكار لا بحياة الوحوش فى الأدغال — فالطير لا يعدم قوته ولا وكره ذلك أنه قانع بقوت يومه وبساطة وكره . يقضى بقية يومه متنقلا بين مفاتن الطبيعة ، شاديا بالجمال ، هاتفا بنعيم القدرة — بينما تعيش الوحوش ثائرة غاضبة مفترسة ناهشة — تقتل حبا فى القتل . وتفتك التذاذا بالفتك ، مدفوعة بدافع الأنانية وغريزة الشراهة والجشع .

يريد الفنانون أن يحيا الناس حياة الطير — ذلك أن هؤلاء الفنانين من شعراء وموسيقيين ومصورين ومن إليهم من الموهوبين والملهمين . إنما هم دعاة الحياة الروحية الخالدة — فطرهم الله قصدا . واحتفظت بهم الطبيعة عمدا ، ليحدوا من شهوات النفوس والأجسام — ليرقوا بالبشرية الى المستوى الروحانى الخليق بها كلما انحدرت بها المادية الى حضيض الحيوانية والبهيمية المطلقة — وليكونوا صلة الوصل بين الحياة التى نحياها والحياة التى تنتظرنا فى العالم الثانى — وأخيرا ليصلوا الحلقة المفقودة بين البشر والملائكة — ذلك أن الفنون إنما تدعو الى ارهاف الحس والشعور وتوليد العاطفة والسمو بالحواس إلى مرتبة الكمال ومستوى المثالية . هى تدعو الى تفتيح الأعين على جمال صنع الخالق وتمديد البصيرة قبل البصر الى ما وراء الخيال والتصور تستلهم ، وتستوحى خفايا المشاعر وخلجات القلوب — وفى هذا كله اعداد للنفس البشرية لتلقى الرسائل العلوية أساسا للتعاليم الوضعية — على حين أن المادة تطمس معالم الروح وتسخر العقل لعبودية الجسم فيفتن فى إرضائه عن طريق الشهوات والملاذ مستبيحا الحرمات والفضائل ، ممهدا لانتشار الآفات والرذائل .

انظر الى ما يقدمه الفنانون والملهمون إلى هذا المجتمع البشرى — فكم فى أشعارهم وصورهم وألحانهم ومسرحياتهم من استدرار للعطف على البؤساء والضعفاء ، وحض على

النزاهة والشرف والشجاعة والاقدام ، وكشف عن جمال الطبيعة وجمال النفس ، ودعوة إلى التضحية وإنكار الذات ، ودعاية لمبادئ الانسانية فى أطهر صورها وأعلى مثلها ، ومحاربة لرذائل المجتمع وعلله وآفاته — هذا بعض ما يقدمه هؤلاء الفنانون للمجتمع البشرى وهو فى الواقع خلاصة ما دعا إليه الرسل والأنبياء ، وعصارة ما يدعو إليه المصلحون والمرشدون والمشرعون والمخلصون من زعماء الأمم — ولا فارق بين الدعوتين — إلا أن الفنان يقدم تعاليمه هينة مستساغة مشوقة مرغبة — يقدمها تارة فى إطار وتارة أخرى فى باقة من الأزهار — بعد أن باعد بينها و بين جفاف الدرس أو ملالة النصح أو صرامة الأمر والنهى .

من هذا نتبين مبلغ ما فى الفنون من عون لكل داعية اجتماعى أو مصلح قومى — فالتاريخ هو التاريخ — و ياطول ماحدثنا — حدثنا عن بدء نهضتنا الدينية وما كان من عطف نبينا الكريم على حسان شاعره — وعن بدء نهضتنا المدنية والسياسية فى العراق والشام والأندلس وما كان للشعر والموسيقى والعمارة من أثر بالغ فى ازدهار هذه النهضة ، وكيف دالت تلك الدول وزالت تلك الحضارات ولاتزال أعلامها خفاقة إلى اليوم فى بقايا أشعارها وآثارها .

كذلك حدثنا التاريخ عن نهضة الغرب ، وكيف بدأ عصر الأحياء ببدء نهضة الفنون والآداب حتى ازدهرت فازدهر الغرب معها . وكيف استمرت نهضة الغرب مزدهرة حتى طغت موجة المادية فاكتسحت مكانة الفنون وزحزحتها من مرتبتها الأولى الى المرتبة الثانية أو الثالثة أو الأخيرة — فكان فى حلول المادية فى المكان الأول ، بكل ما فيها من مغريات ومظاهر خلابة جوفاء — السبب كل السبب فيما نشهده اليوم من هبوط أسعار الدم البشرى وارتفاع أسهم الحديد والنار .

أما فى مصر . فانى أجتزئ بالاشارة العابرة الى عصرها الحديث ، فقد أتى عليها حين كان للفنون فيها مقام ملحوظ — بدأ هذا الحين بعهد اسماعيل فأقيمت المتاحف والتماثيل ، وشيدت دار الأوبرا واستقدمت الفرق التمثيلية وشهدت مصر لأول عهدها بعض المسرحيات الخالدة ، كما انطلقت يد الجمال والفن فى تنسيق أشهر حدائقها المعروفة ، كما امتدت يد التشجيع من القائمين بالأمر الى كل فنان مصرى فنال الشعراء والموسيقيون حظوتهم ، ولم تلبث مصر أن شهدت من أبنائها أمثال صبرى والبارودى وشوقى وعبده وعثمان ومن إليهم من أعلام أبنائها الخالدين شعراء وموسيقين — هؤلاء جميعا كانوا أقرب الناس الى أولى الأمر . لا إلى سمعهم وأبصارهم فحسب ، بل الى قلوبهم أيضا ، فكان فى هذا التقريب وتلك الحظوة ما كان من نهضة فنية أدبية موسيقية رفعت مكانة البلاد ولا تزال تخرا لها إلى اليوم .

سادتى ،

ليت هذه النهضة ووليت بالعطف والتشجيع والتقدير — إذن لتضاعفت ولكان لنا من ذخرها اليوم أكبر معين على نهضتنا القومية — ولكن الذى حدث أن موجة المادية والأنانية التى طغت على الغرب فزحزحت مكانة الفنون فيه قد سرى رشاشها الى هذه البلاد على أثر الحرب العظمى الماضية ، فدخل التكالب والاصطناع والاتجار والادعاء فى كل شىء حتى فى الفنون — والفنون كما علمتم أيها السادة أبعد الأشياء عن هذا الاصطناع وذلك الاتجار . لأنه يطعنها فى الصميم . ولأن رسالتها أبد الدهر البراءة والنزاهة وصفاء الجوهر — لم يقف مصاب الفنون عند هذا الحد فقد شغل أولو الأمر عنها بما خلفته تلك الحرب الدروس من مشاغل سياسية وأحداث داخلية فعاشت يتيمة تنعى حماتها الأول . تعانى ما تعانيه من فقد التشجيع وصدق التعضيد فخفت صوت رسالتها وداخلها الضعف والوهن حتى استطاع المتربصون لها أن يتاجروا بها اتجارا ويستغلوها استغلالا لا رحمة فيه ولا هوادة .

سادتى :

ان الفنان الموهوب الملهم لأقوى الناس على أداء رسالته الروحية . ولكنه بقدر قوته هذه أكثر الناس ترفعا عن النزول الى معترك التزاحم المادى — وهذا هو سر ما يرمى به من ضعف — لهذا كان الفنان فى جميع العصور أمانة ووديعة فى يد الأمة والقائمين بالأمر — يلق منهما كل حماية وعطف — لأنه قد خلق فى شغل عن الدنيا برسالة فنه التى تستغرق كل حواسه ومشاعره — ولأنه أيضا لا يعيش إلا لغيره — أما وأن يترك للكدح والكفاح وراء مطالب الحياة فى هذا المعترك المادى الزاخر بدعوى حرية التزاحم و بقاء الأصلح فنقوا أيها السادة ، أن لا حياة للطير بين الوحوش ولا للرسالة العلوية فى حضيض الضعة والانحطاط المادى والخلقى ، هذا الذى أقول إن يك جديدا على بعض آذان هذا الجيل . فقد كان مألوف الأسماع فى الأجيال الماضية والعصور الزاهرة ، فكم تولت الشعوب والحكومات رعاية الفنون وحماية الفنانين وحاطتهما بسياج قوى لا يختازه العوز والافتقار ولا يتخطاه الأدعياء والاغرار . فكان لهذه الشعوب وتلك الحكومات من وراء هذه الفنون وهؤلاء الفنانين آثار وذخيرة من الحضارة الصحيحة التى لا تزال تفخر أجيالهم المتعاقبة .

محمود محمد صادق

مدير الدعاية والارشاد الاجتماعى

الصراحة

للأستاذ عباس أبو شوشه

إن من أحب أخلاق الناس إلىّ أن يكون المرء صريحا واضحا يعرف باطنه من ظاهره، وأن تكون صفحته مرآة صافية لنفسه وأساريره وعنوانا واضحا لسريرته، وأن يكون شجاعا بين الولاء شامس العداء، فتعرفه صديقا يرتجى أو عدوا يتقى، ولا تخدعك منه ابتسامة براقة هى سنا النار المتأججة فى الضلوع، أو كلمة معسولة يختفى فى شهدها سم ناقع، أو بسطة باع وراءها صدر ضيق وقلب مريض.

و يؤدى لو ساد هذا الخلق الكريم فى الناس وربا غرسه فى رباهم، فقد طالما كانت الصراحة عاملا نافعا فى تصافى النفوس وتوثيق عرى القلوب، وطالما حلت الصراحة مشكلات وأخمدت نارا لولاها لاحتدم سعيرها ولتفاقم خطرها، فكم من أخ تبدر منه لأخيه بادرة غير مقصودة أو تكون صادرة عن حسن نية وصفاء طوية ولأمر ما تؤول على غير وجهها فيسرها هذا فى نفسه و يدعها تحز فى قلبه و يحمله ذلك على سوء الظن بكل ما يصدر عن صاحبه وهو برئ، ثم لا يلبث أن ينقلب الإسرار ضغنا، ثم يصير الضغن بغضا، ثم يشتد البغض فيصير عداوة تتأصل جذورها و يتعذر استئصالها، ولو حلت الصراحة محل الإسرار، واستوضح الأخ أخاه سر بادرته، واستكشف دخيلة نفسه — فان كان مخطئا صوّب خطاه — لمحا العتاب أثره وظل الوداد بينهما صفوا.

وكم من زوجين يلحظ أحدهما على الآخر عارضا من حزن أو طارئا من فتور قد يكون مصدره وعكة من سقم أو ضيقا يحدث من أحداث الحياة لا يمت بصلة قريبة أو بعيدة لحياتهما الزوجية فيخاله نفرة من جانب شريكه، وقد يحمله الإدلال أو تأخذه العزة فيقابل الفتور بفتور، و يقارض بالانقباض انقباضا، فتتباعد مسافة الخلف وتتسع هوة الشقاق، وتلتهب الجمار المتوارية تحت الرماد ثم لا تلبث أن تعصف بها عاصفة شر تثير غبارها وتطير شرارها فتصبح جنة البيت جحيما يصلى بحره أناس و يكتوى بناره أطفال لم يكونوا من جناتها، ولو تروّق كل بصاحبه ونظر إلى المسألة بغير المنظار الأسود الذى نظر به، وحاول أن يسائل فى رفق وفى أناة عن سر الألم حتى يستشفه و يكشف عن أس العلة فيأسوها تفاديا لكارثة قد تكون نتيجتها و بالا ولا تصيب الذين ظلموا خاصة.

وكم من رئيس يحنو على مرءوس فيكرمه و يقربه لكفاية خاصة و ينزله من نفسه منزلة الولد من الوالد أو الأخ من أخيه ، فتوغر الغيرة صدور الحساد والمنافسين فلا يقر لجنوبهم مضجع حتى يجدوا ثغرة ينفذوا منها إلى ذينك القلبين الصافيين فيفرقوا بينهما ، وقد يصاب ذلك الابن البرىء ببطشة تطيح به عن جهل بالحقيقة ، ولو تدخلت الصراحة بادئ ذى بدء لتكشفت سحائب الشك ولدأت العاصفة وقطعت ألسنة المشائين .

ومما يرثى له أن نرى فى هذا الزمان طائفة من صيادى المنافع قد احترفوا المداهنة وحذقوا المداورة ، وأمرع فى نفوسهم الخداع واستغلظ فى روعهم النفاق ، فهم فى ظاهرهم أولياء أوفياء لكل صاحب سلطان يخلقون له المحامد و يتغنون له بالمدائح و يطرون كل ما يصدر عنه حسنا كان أو قبيحا ، على حين أنهم يلقون على ما فى صدورهم من جمار الحسد ندى من المراء يحد من إذكائها إلى حين ، و يتربصون به الدوائر ، حتى إذا دالت أيامه والدنيا دول ، عادت تلك الجمرات وهى أشد وقدا وأذكى لهبا ، وراحوا يبسطون فيه ألسنتهم بكل نابية و يتمنون له كل دهياء داهية ، و يقلبون محاسنه سيئات ومحامده دنات ، ومن العجب العجاب أن يجد أمثال هؤلاء لبضاعتهم سوقا نافقة فى ساحات بعض ذوى السلطان من ذوى اللب والعقل الذين لا تعوزهم الفطنة ولا تنقصهم التجاريب . وفى مثل هؤلاء جاء فى التنزيل الحكيم على رسول الله الكريم (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) و يكمل وصفهم قوله تعالى :

(إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا . الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا . إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم و إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا . مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) .

وعندى أن أمثال هؤلاء لو أوصدت دونهم الأبواب وصمت عنهم الأسماع وغضت عنهم الأبصار ، ووجدوا عصا التأديب حاضرة ، لقبعوا فى جلودهم ووقفوا عند خطهم واستقاموا على الطريقة صاغرين .

وكم يكون أصلح للدولة وأجدى على الأمة أن نقتدى بشىء من صراحة السلف الصالح بين الحاكمين والمحكومين ، تكشف عن نواحى النقص وتمهد الطريق للاصلاح ، و بحسبى إيراد ما روى عن عبد الرحمن بن زياد الافريقى أنه قدم على أبى جعفر المنصور فسأله أبو جعفر " يا عبد الرحمن كيف ما مررت به من أعمالنا إلى أن وصلت إلينا ؟ " فقال " أعمالا

فاسدة سيئة، وظلما فاشيا، وظننت أن ذلك لبعد البلاد عنك فجعلت كلما دنوت منك أرى الأمر أعظم " فأطرق المنصور ثم قال " كيف لى بالرجال يا عبد الرحمن ؟ " فقال " أليس عمر بن عبدالعزيز يقول : السلطان بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها ، فان كان برا أتوه ببرهم، و إن كان فاجرا أتوه بفجورهم ؟" فقال المنصور : صدقت .

ومما روى عن عوف بن مالك رضى الله عنه أن جماعة دخلوا على أمير المؤمنين سيدنا عمر ابن الخطاب فقالوا: " والله ما رأينا رجلا أوفى بالقسط ولا أقول للحق ولا أشد على المنافقين منك يا أمير المؤمنين، وأنت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم " وكان عوف حاضرا فقال " كذبتم والله ! لقد رأينا من هو خير منه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم " فقال عمر " من هو يا عوف ؟ " فقال " أبو بكر " فقال عمر " صدق عوف وكذبتم . لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك وأنا أضل من بعير أهلى " .

ألا فلتكن فضيلة الصراحة من أخلاقنا، ولتكن لنا فى سير العاملين الصالحين قدوة حسنة عسى أن يهدينا الله صراطا مستقيما .

عباس أبو شوشه
بوزارة الشؤون الاجتماعية

"يجابهُ ، لا يخفى السنان ، فلا ترى
له غضبا يأتى العدو ملثما ! "

مسئولية خلقية

للأستاذ عبد الرزاق حميده

علم الأخلاق يعتبر الفرد مسئولا عن أخلاقه وأخلاق الجماعة التى يعيش فيها، ومسئوليته أمام ضميره الحى الذى يرشده الى الحق ويهديه سواء السبيل .

والدين يعتبر الفرد مسئولا عن تقويم أخلاقه وأخلاق الجماعة التى يعيش فيها أمام الله وأمام ضميره . فقد جاء فى القرآن الكريم "إن الذى كفروا من بنى اسرائيل لعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ؛ لبئس ما كانوا يفعلون" . " وعن النبى صلى الله عليه وسلم "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه . فان لم يستطع فبقلبه . وذلك أضعف الايمان"

وسبب هذه المسئولية أن الفرد يستطيع أن يرى من عيوب الناس ما لا يراه القانون ، ويرى من مخالفات الناس للقوانين ما لا تراه هذه القوانين. ولا يصل اليه علم القائمين عليها.

والمخالفات التى تجرى الآن لما شرعته الحكومة من قوانين وموقف بعض الناس منها خير برهان على أثر مساعدة الفرد للحكومة فى تنفيذ قوانينها ، وفى معاونتها على إصلاح أحوال الجماعة ، وضبط أمورها ونشر سلطانها وهيبتها واحترام أوامرها ونواهيها .

وقد سنت الحكومة عندنا تشريعا إثر تشريع وفرضت بعض العقوبات مثلا لمن يبيعون بثمن أعلى من التسعير الجبرى، ولمن يخزنون السلع ويحجبونها عن التداول حتى تشتد الحاجة بها ويطلبها الناس بأى ثمن مهما علا عن ثمنه الذى قررته الحكومة .

ويود أولو الأمر أن يضبطوا تموين البلاد ويعطوا الناس من المواد الضرورية لغذائهم وكسوتهم ما هم فى حاجة ملحة اليه ، ويضعون العقوبات والقوانين لمن يخالفون أوامرها فى هذا الشأن .

ولكن هذه القوانين والعقوبات لا تصل الى كل مخالف ، ولا تظفر بالاحترام التام إلا خوفا ورهبة، وكثيرا ما تكسر قيود هذه القوانين سرا أو جهرا . وينجو المخالفون لها من عقابها ، لأن الأدلة على جرائمهم غير قائمة ، أو لأن مخالفتهم لا شهيد عليها، أو لأن التحايل على الفرار من عقابها قوى .

وعندنا كثير من قضايا القتل يحفظ لعدم توافر الأدلة، وكثير من حوادث السرقات لا يعرف فيه السارق ، وإن كان يعرفه كثير من أهله وأصدقائه ، ولصوص الأعراض يمشون فى الأرض مرحا لا يناله جزاء لعدم توافر أركان الجريمة. وبعض التجار والمنتجين يفرون من أصناف التسعير الجبرى بتغيير علامات بضائعهم ومصنوعاتهم تغييرا غير جوهرى ليخرجوا من سلطة القانون وان لم تخرج بضائعهم عن نوع الأصناف التى قررت الحكومة تسعيرها .

والمستهلكون يحتالون على الحكومة لينالوا أكثر من حظهم، من ذلك ما تزيده بعض الأسرات فى عدد أفرادها بزيادة الخدم أو بإحياء الأموات أو غير ذلك، حتى تصل الى ضعف عددها وتنال من مواد التموين أضعاف ما تستحق ، فتستمتع به وتحرم منه من لهم حق فيه

والقائمون بالأمر فى بعض الدول لايخلو أمرهم من محاباة هذا أو ذاك لقرابة أو صداقة أو سماحة وجه أو علو منصب بأكثر مما قررته الحكومة لذوى المناصب وسماح الوجوه .

ولقد كانت هذه الحرب ابتلاء لأخلاق كثير من الأمم والأفراد فأظهرت من الطمع والجشع والرغبة فى أكل أموال الناس بالباطل ما ضجت منه البلاد ، وضاقت به القوانين والمحاكم .

ولو رجع الناس الى أنفسهم فى هذه الظروف ، وكان لهم من ضمائرهم وأخلاقهم وازع لأعطوا كل ذى حق حقه . واستراح كثير من الذين شقوا بمخالفات التموين وجشع التجار وعبث المتعمرفين فى الاقوات وغير الأقوات من ضروريات الحياة . ولو حرص الناس على أداء واجباتهم فنصحوا لكل مخالف للقوانين ، وأبلغوا الحكومة أمره اذا أبى الإصغاء لنصحهم ، وتعاون الناس جميعا على أن يقولوا الحق و يغضبوا للاعتداء على القوانين والحرمات لسعدوا وعاشوا آمنين . ولو عرف الفرد واجبه فى مساعدة الحكومة فامتنع عن الشراء بأعلى من أسعار الحكومة، وكف عن محاباة هذا على حساب ذاك ، ونفر من استغلال الناس فى وقت محنتهم وشدتهم كاستغلال مختزنى الأدوية ومواد التموين ، لسلم كثير من آذاهم المرض وأضناهم الجوع، وعضهم البرد، وهتك أستارهم العرى، ولرضى الفقير بعيشته، وأمن الغنى من سخطه واعنائه .

فحراسة الأخلاق، والجراءة فى الحق ، والصراحة عند الحاجة اليها، واجبات على كل فرد. والاعتماد على القانون وحده وعلى الحكومة وحدها فى القيام على رعاية الأخلاق ، وحفظ الحقوق ورعاية المصالح العامة والخاصة خطأ كبير . وليس من الأخلاق فى شىء أن نرى السارق والمزور والمرتشى والمجرم يرتكبون أوزارهم ولانفكر فى أمرهم ولانغضب من إجرامهم فان السكوت على الاجرام والرضا به إجرام، ولو علم الناس أن شر المجرم لا يقتصر على واحد وأن السكوت على جريمته يزيده طغيانا لحذروه عاقبة أفعاله ، وشهدوا عليه اذا قدم لمحاكمته، وابلغوا الحكومة أمره إذا حاول الفرار من القوانين والعقاب .

أذكر حديثا بين مصرى وسيدة أجنبية يبدو منه كيف يفهم الفرد والجماعة المسئولية الخلقية فى بلاد الانجليز : قال الشاب للسيدة فى أثناء حديث طويل بينهما : إن الماشية عندكم سائمة تبيت فى مراعيها ولا حارس يحرسها أفلا تخافون اللصوص عليها .

— أى اللصوص ؟ وكيف نخافهم ؟ وأين يذهبون بها ؟

— لصوص الماشية الذين يجدون الفرصة مواتية للسرقة عند وجود هذه الأبقار ليلا فى مراعيها فيسرقون منها مايشاءون ويبيعونه حيا أو مذبوحا، أو يخفونه حتى يدفع صاحبه حلوانه .

— من ذا الذى تحدثه نفسه بهذا ؟ وكيف يدفع صاحب المسروقات حلوانها ؟ وعلى يد من يكون هذا ؟ إن اللص الذى يسرق ثم يذهب الى صاحب المال يطلب منه حلوانا لص مجنون لأنه يعرض نفسه للقبض عليه .

— اللص لا يذهب بل يرسل بدلا منه " واسطة خير" يسعى بين السارق ومن سرقت أبقاره مثلا . ولا ينسى أتعابه . وتعود الماشية الى مالكها .

— ومن الذى تحدثه نفسه ويخطر ضميره الى حد التوسط فى مثل هـذا الأمر ؟ ولم لا يبلغ صاحب الماشية المسروقة ، ويشهد أمام القضاء ذلك الذى تسميه "واسطة خير" .

قد ينكر هذا "الواسطة" وتضيع المسروقات فلا ترد بحلوان ولا بغير حلوان .

— وأين تذهب الماشية المسروقة إذن ياسيدى ؟

— تختفى فى بلد غير البلد الذى سرقت منه ثم تباع بعد أيام أو تذبح ويباع لحمها .

— هذا لا يمكن أيها السيد الطيب القلب . فان صاحب المسروقات يبلغ البوليس وتنشر الجرائد المحلية والعامة أمر هذه السرقة ويصل البوليس سريعا الى السارق فينال جزاءه . والى المسروق فيعود الى صاحبه .

— وكيف يصل البوليس الى ذلك ؟

— ألا تعرف ان الناس يقرءون الجرائد ، وأن أهل كل قرية يعلمون بما فى قريتهم ، وأن الجار على الأقل يعرف ما عند جاره من ماشية ، فاذا زادت يوما ، ورأى الجار ذلك الخبر فى الجرائد وشك فى أمر جاره أخبر البوليس ليتحرى عن هذه الزيادة ؟

— وما شأن الجار ؟ وكيف ينسى حقوق الجوار ؟

— حق الأمن أولى من حق الجار . والناس عندنا أعوان الشرطة فى منع الجرائم قبل وقوعها ، والمساعدة على ضبط المجرمين والذى تحدثه نفسه بمثل السرقة التى جرتنا الى هذا الحديث مجنون ، لأنه سيعرض نفسه لفضيحة وعقاب لا مفر منهما ، ما دام للناس عيون ساهرة على الأخلاق حريصة على مساعدة الحكومة فى كل شىء . وما دامت طباعهم تأبى أن يعيش فيهم مثل هذا اللص وتأبى أن يسكتوا عن جرائمه . كيف تحدث بهذا يافلان ؟

— معذرة أيتها السيدة ، فهذا كثير فى غير بلادكم . ولعلك تعلمين بما يقوم به اللصوص فى أمريكا وتحدث إليكم به الجرائد ودور السينما ويسكت الناس فى كثير من الحالات خوفا من اللصوص أو خوفا عليه .

— أما نحن فلا عيش لمثل هذا اللص بيننا ، ولهذا نحرص على الأمن واستقراره ومساعدة القوانين ورجال الحكومة على تنفيذها لنعيش فى هدوء واطمئنان .

هذه خلاصة المحادثة بينهما ، وتلك درجة فهم الناس لواجبهم فى مساعدة أولى الأمر منهم على نشر الامن والأخذ على أيدى العابثين . ولعل لنا فيها موعظة وذكرى .

عبد الرزاق حميده
مدرس بدار العلوم

علاقة الفرد بالمجتمع

للدكتور عبد العزيز أمين

يعزى الى " أرسطو " الفيلسوف اليونانى أنه قال : " الإنسان مدنى بالطبع "، وقد أراد " بمدنية " الانسان أنه محتاج الى بنى جنسه ليعيش معهم فى اجتماع . أى أن الإنسان اجتماعى بفطرته ، فلا يمكنه أن يعيش منفردا . ويسمى علماء النفس هـذا الميل الفطرى " بغريزة الاجتماع " ، تلك الغريزة التى أثبتت الابحاث أنها ليست مقصورة على الإنسان بل هى عند الحيوانات أيضا ، ولاسيما فى وقت الخطر ، أو حين تربطها غاية مشتركة تسعى لتحقيقها . فالنحل مثلا يعيش جماعات ، فهو مدنى بالطبع ، وكذلك النمل والقيلة وغير ذلك من أنواع الحيوان . غير أن الفرق بين هذه الغريزة عند الإنسان وعند الحيوان أن الأول يستحيل عليه أن يعيش منفردا . ووجه الاستحالة ظاهر اذا تتبعنا حياة الفرد . فالطفل منذ الولادة لايستطيع أن يعيش معتمدا على نفسه ، بل لابد من أن يشرف على إرضاعه وحضانته وحمايته ، أمه أو من يقوم مقامها ، يعاونها آخرون من أعضاء الأسرة . ثم ينمو الطفل ، ويمر فى أطوار مختلفة من الطفولة الى الغلومة الى المراهقة . وهو فى كل هذه الأطوار عاجز عن أن يكفل نفسه بنفسه ، وأن يقوم بحاجاته . وهو فى كل هـذه الأطوار خاضع لمؤثرات المجتمع الذى يعيش فيه ، والذى يحيط به صغيرا كان المجتمع أو كبيرا . وهو فى كل هذه الأطوار يتعلم من المجتمع لغته ، ونظام حياته ، وعاداته ، وتقاليده ، وطرق كسب العيش فيه ، وغير ذلك مما هو ضرورى له فى طور الرجولة . فهو اذاً فى جميع هذه الأطوار الأولى محتاج الى مجتمع يعيش فيه ويتعلم منه ، لا بل ويعتمد عليه . وكل هذه الأطوار السابقة لمرحلة الرجولة إعدادية ، حتى لقد أطلق عليها بعض علماء النفس — توسعا — اسم "مرحلة الطفولة " .

اما مرحلة الرجولة فهى مرحلة النضوج والرشد ، المرحلة التى يقر المجتمع فيها الفرد ، ويعترف به عضواً يحسن التصرف ومسئولا عن سلوكه ، عضوا مساهما ، له حقوق وعليه واجبات .

وحتى فى مرحله الرجوله هذه لايستطيع الفرد أن يعيش بعيدا عن المجتمع . اذ لو فرضنا وجود هذا الفرد لكان من أهم مايحتاج اليه — للمحافظة على حياته — الغذاء ، وهو بما ركب فيه من قوى قاصر — منفرداً — عن تحصيل قوته ، الذى لايمكن أن يصل اليه الا بالزرع

والحصاد والطحن والعجن والخبز ، أو بمطاردة الحيوان وصيده واعداده للطعام . وهو فى كلتا الحالتين محتاج الى من يعاونه على نيل غذائه . ثم هو لابد معرض لاخطار الحيوانات المفترسة ، والكوارث الطبيعية ، فلا بد لدفع هذه الاخطار من وجود آخرين يعاونونه على حمايته ، وحفظ حياته . هذا الى أشياء كثيرة ضرورية لحفظ الحياة لا تتسنى للإنسان منفردا .

فاذا تقرر أن الانسان لا يستطيع أن يعيش من غير مجتمع كان لنا أن نسأل عن نوع المجتمع الذى يحتاج اليه . قد يكون المجتمع الأسرة وقد يكون القبيلة ، وقد يكون القرية ، وقد يكون المدينة أو ماهو أشمل من المدينة كالأمة والدولة . لا بل قد يتسع المجتمع فيشمل الاسرة البشرية أو العالم أجمع .

وسأقصر حديثى هذا على علاقة الفرد بأمته . والأمة — كما يعرفها علماء الاجتماع — جماعة من الناس يرجع أغلبهم الى أصل واحد ، وتجمعهم تقاليد ، وأخلاق ، ومصالح ، وأمانى ، وآمال ، واحدة . ولكل أمة فى الغالب هيئة مشتركة تهيمن عليها ، وتصون كيانها ، وتكفل أمنها ، وتشرف على إدارتها ، وتصريف أمورها . هذه الهيئة هى الحكومة . وتسمى الأمة والحكومة معا بالدولة .

وعضوية الفرد فى أمة معناه أن علية التزامات أو واجبات نحوها يتحتم عليه القيام بها لهذه الأمة كمجموعة ، ولأعضائها كأفراد . ثم هو من ناحية أخرى له حقوق مكفولة نظير قيامه بالواجبات . والهيئة التى تشرف على ضمان حقوق الفرد ، وتتأكد من أنه يقوم بما عليه من واجبات ، هى الحكومة . فالحكومة إذاً وكيل عن الأمة جميعها كوحدة ، وعن أفرادها كأعضاء . وهى تعمل لمصلحة موكلها الذى عليه أن يعاونها حتى تستطيع القيام بواجبها . وهذا الوصف ينطبق فى الواقع على الحكومات الديموقراطية التى قال عنها "إبرهام لنكولن" رئيس الولايات المتحدة فى القرن الماضى : إنها حكومة الشعب ، وضعها الشعب ، لتخدم الشعب .

وهنا نتساءل ماهى حقوق الفرد ، وما هى واجباته ؟

أما حقوقه فأهمها الحرية . ولا نقصد بالحرية أن يكون الفرد مطلقا يقول ويفعل مايشاء دون أى اعتراض . كلا ، لأن هذا خطأ فى فهم الحرية . فالحرية لابد أن تقيد بقيد ، هو عدم تعارضها مع حرية الغير ، وعدم إخلالها بواجب مفروض . فحق الحرية انما منح لسعادة المجتمع . ولا تتوافر السعادة إذا أطلقت الحرية لكل فرد من غير قيد . فهذا الضرب من الحرية المطلقة انما يقود للفوضى التى تتنافى مع الغرض الأصلى من وجود المجتمع . وللحرية مظاهر منها : الحرية الشخصية فالفرد حر فى غدوه ورواحه ، لا يمنعه مانع ولا يقبض عليه بدون سبب قانونى . وقد نص الدستور المصرى على عدم جواز إلقاء القبض على إنسان أو حبسه إلا وفق أحكام القانون . ومنها حرية الملك فللإنسان أن يحوز مايشاء فلا يحرمه ولا ينتزع منه إلا بمقتضى القانون . فاذا حرم القانون مثلا حيازة الأسلحة النارية

من غير ترخيص، فانه بمقتضى هذا التحريم تنزع الأسلحة غير المرخصة من أيدى حائزيها . ومنها حرية العمل والصناعة والتجارة وفقا للقانون . فهناك مثلا بعض المهن التى لا يصح مزاولتها إلا بشروط خاصة كالطبيب والمحاماة ، وكذلك الحال فى الصناعة والتجارة ، فلا يصح فتح بعض المصانع ، ولامزاولة بعض أنواع التجارة ، إلا بتصريح . ومنها حرية الفكر فللفرد أن يفكر كما يشاء، وأن يجاهر بآرائه فى حدود القانون، على ألا تكون هذه الآراء ثورية ضد نظام الحكم وقواعد الدستور، وعلى ألا تمس كرامة الناس أو تعتدى على أديانهم. ومنها الحرية الدينية فللإنسان أن يعتنق ما يشاء من الأديان ، وأن يقوم بما يشاء من الفرائض والتعبدات. ومنها حرية الصحافة وهى نوع من حرية الفكر... ومنها حرية الاجتماع ما لم يكن من شأنه تعريض الأمن العام للخطر .

ومن حقوق الفرد أيضا المساواة ، فأفراد الأمة جميعهم سواء أمام القانون الذى يحمى الجميع. وهم سواء فى الضرائب بمعنى أن كل فرد يقوم بدفع الضريبة المقررة عليه بحسب ثروته. وللفرد حقوقه السياسية، كحق تقديم العرائض والظلامات، وحق الانتخاب، وهو فى مصر للذكور البالغين من العمر إحدى وعشرين سنة ولم تصدر ضدهم أحكام مزرية بالشرف .

هذه أهم الحقوق مجملة ؟ أما الواجبات ففى مقدمتها إطاعة القوانين ، والإخلاص للمصلحة العامة. فإن القوانين إنما تسن لمصلحة جميع أفراد الأمة وسعادتهم فعليهم أن يحترموها وأن ينفذوا أحكامها . والقوانين أنواع : منها المدنية التى تتعلق بمعاملات الناس بعضهم ببعض ، والجنائية وهى التى تتعلق بالجرائم . وشبيه بالقوانين اللوائح التى تسن للمصلحة العامة كوجوب التبليغ عن المواليد والوفيات ، وعدم إقلاق السكان فى ساعات معينة من اليوم . ومن الواجبات أداء الضرائب بأنواعها المختلفة، فالحكومة تشرف على إدارة شؤون البلاد . وهى فى حاجة الى أموال تنفقها لمصلحة البلاد . وهى تحصل على هذه الأموال من الضرائب. فلو لم يقم الفرد بواجب دفع ما عليه من الضرائب لم تستطع الحكومة الوكيلة عن الأمة القيام بواجبها . وفى هذا شقاء للفرد وحرمانه من سعادته . ومن واجبات الفرد التعلم فى المرحلة الالزامية . وقد نص الدستور المصرى على أن يكون التعليم الأولى إلزاميا للبنين والبنات . ومعنى هذا أن من يخالف نص الدستور تفرض عليه العقوبات . وكذلك من واجبات الفرد الخدمة العسكرية فسلامة الوطن تتوقف على حمايته والدفاع عنه . والخدمة العسكرية واجبة فى مصر متى بلغ الشاب التاسعة عشرة . وهناك شروط إذا توافرت أعفى الشاب من هذه الخدمة .

هذه نبذه مجملة عن علاقة الفرد بالمجتمع ، أو علاقته بأمته ، وماله من حقوق قبلها وما عليه من واجبات نحوها، قصدنا بها أن يتعرف كل منا ماله من هذه الحقوق وما عليه من هذه الواجبات فليس هناك أسعد من أمة عرف أبناؤها جميعا ما لهم قبلها من حقوق وما عليهم نحوها من واجبات .

عبد العزيز أمين
الأستاذ بدار العلوم

الجانب الاجتماعى فى الدعوة الإسلامية

للأستاذ محمد يوسف موسى

جاء الإسلام والعالم رجلان : رجل مفتون بالمال متهالك على الشهوات ، ورجل زاهد فى الدنيا جملة واحدة ، فكان دينا وسطا مكملا لما سبقه من أديان بما فرض من شرائع ووضع من مبادئ وأصول . وليس من سبيل إلى الإلمام ، فى دقائق معدودة ، بتشاريعه المختلفة ، وانما حديثى كلمات سريعة فى الجانب الاجتماعى مما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه من دين وتشريع .

وليس عجيبا ، والدعوة الإسلامية جاءت للجتمعات من أدناها إلى أعلاها ، أن نراها ترعى الناحية الاجتماعية رعاية كاملة لم نرها فى دين سابق أو دعوة إصلاحية تالية ، وإننا نلمس ذلك فى ناحية العقيدة ، وناحية التكاليف الجسمية والمالية وفى الأخلاق والآداب التى وحدت بينها .

احتفل الإسلام أيما احتفال بوجوب العمل و بالنهى عن التواكل والتبطل . يقول الرسول ، لأن يأخذ أحدكم حبلا ، فيذهب فيأتى بحزمة حطب فيكف بها وجهه ؛ خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه" ، ولعمرى ليس بعد هذا أبعث على العزة والأنفة الحق فى الانسان ! بل لقد جعل الرسول العمل للحياة خيرا من بعض ضروب العبادة ، فإنه ليروى أن ناسا من الصحابة أكثروا من الثناء على رجل بحضر من الرسول المعلم الحكيم ؛ فقالوا : إن فلانا يصوم النهار و يقوم الليل و يكثر الذكر ، فقال : أيكم يكفيه طعامه وشرابه ؟ فقالوا كلنا يارسول الله ، فقال : "كلكم خير منه" . بل إن النبى اعتبر السعى إلى الرزق ضربا من الجهاد فى سبيل الله إذ قال لنفر من الصحابة رأوا شابا ذا جلد وقوة قد بكر يسعى فقالوا : ويح هذا لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله ! فقال : "لاتقولوا هذا ؛ فإنه إن كان خرج يسعى على أولاد صغار فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ؛ وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله" .

وأخيرا فى هذه الناحية ، ناحية العمل ، نجد الرسول يتوعد بالوعيد الشديد المتواكل الفارغ من العمل ، فيقول : " أشد الناس عذابا يوم القيامة المكفى الفارغ " يريد الذى يظلم الناس بأن يستفيد منهم ولا يفيد ، ويعتمد على الناس فى كفاية حاجاته .

هكذا أوجب الإسلام العمل ، ولكن ما كل أمرئ يواجد عملا أو يقادر على عمل يفيه الحاجة ، وهنا نجد الشريعة الإسلامية قد احتاطت لهذه المشكلة ، أعنى مشكلة الفقر والعجز عن العمل ، فقررت فى مال الغنى حقا معلوما للسائل والمحروم ، وفرضت الزكاة ، وجعلت النزول عن شيء من المال كفارة لبعض الذنوب والآثام .

وأيم الله ، إن فى اخراج زكاة المال ، وزكاة الزروع ، وزكاة عروض التجارة ما يملأ البلاد بدور الصناعة والمستشفيات ونحوها من المنشآت العامة ، وما يغلق كثيرا من السجون . إنه انما يسرق اللص ويجرم المجرم حينما يرى ، فى حسرة وألم ، أن الغنى منعه حقه المشروع وذهب ينفقه فيما لا يكسب مجدا أو يبقى على كرامة ، فيحاول أن يأخذ بنفسه حقه الممنوع فيصبح مجرما وعدوا للمجتمع الذى يعيش فردا منه .

وحين عالج الإسلام مشكلة الفقر والعجز عن العمل كما رأينا ، سوى بين المسلم والذمى من المسيحيين واليهود ، حتى يكون المجتمع كله سليما وسعيدا . هذا عمر بن الخطاب يرى أن من العدل أن يوقى غير المسلم الحاجة متى عجز عن العمل . بأن يعطى من بيت المال ما يفى بحاجته ، جزاء بما كان يفيد به بيت المال وهو قادر على العمل . وكذلك خالد بن الوليد فى عهد نصارى الحيرة يرى أن " أيما شيخ ضعف عن العمل ، وأصابته آفة من الآفات ، أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الإسلام " .

أليس فى هذا المبدأ ما يقوم عليه النظام الذى يسمى اليوم التأمين الاجتماعى ، والذى تسعى الأمم جاهدة للوصول اليه تحقيقا للعدالة الاجتماعية وتأمينا للعمال ؟

لكن الاسلام يعرف مع ذلك كله أن النفس أمارة بالسوء ، وأنها تنزع إلى التطلع إلى ما ليس لها ، فحال بتعاليمه بين أن تصير هذه النزعة داء ، فكان مما قرره القرآن أن الله رفع خلقه بعضهم فوق بعض درجات ، وأن ليس لمن قدر عليه رزقه أن يتمنى ما فضل الله به غيره ، كما كان من جوامع كلم الرسول : "عليك باليأس مما فى أيدى الناس فإنه الغنى وإياك والطمع فانه الفقر الحاضر" .

وهناك جانب آخر تتجلى فيه طرافة الإسلام وعبقريته ، أعنى ناحية الصلة التى يجب أن تكون بين أفراد المجتمع الإسلامى ، وناحية العدالة والمسئولية فى صغار الأمور وكبارها . إنما المؤمنون أخوة ، والناس سواسية كأسنان المشط ، ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه — كل أولئك من المبادئ التى جاء بها القرآن والحديث ، فكانت أساسا للمساواة التامة التى ظفرت بها الإنسانية بفضل الإسلام لأول مرة فى التاريخ .

وليس ذلك ، فحسب ، بل نسمع الرسول يقول : " أيما رجل استعمل رجلا على عشرة أنفس ، وعلم أن فى العشرة أفضل ممن استعمل ، فقد غش الله وغش الرسول وغش جماعة المسلمين " . ويقول : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته " .

وهكذا ، متى أيقن المجتمع بعدالة الولاة ، وعرف جميع أفراده المسئولية وقدروها حق قدرها ، فقد قدر له أن يكون مجتمعا صالحا سعيدا ، وأن تكون الأمة التى تقوم عليه أمة مجيدة سعيدة .

ليس هذا الذى أقول من النظريات المثالية فحسب ، بل إنه من التعاليم التى رعاها رجالات الإسلام أتم رعاية ، وساروا عليها فى حياتهم الاجتماعية العامة .

لقد أتى عمر بن الخطاب ذات يوم بقدر من سنام وكبد ، فقال : أنى لنا هذا ؟ قالوا ياأمير المؤمنين من الجزور التى نحرت اليوم للناس ، فقال بخ . بخ ! بئس الوالى أنا إن أكلت أطيبها وأطعمت الناس كراديسها (يريد عظامها وغير الطيب منها) هات لنا غير هذا الطعام ، فأتى بخبز وزيت !

وهذه الروح العالية فى عدالتها ومساواتها نجدها تسرى من عمر إلى عماله ، ها هو ذا أبو عبيدة ابن مسعود الثقفى يرسل إلى محاربة فريق من الفرس ، فلما فتح الله عليه صلحا جاء اليه بعض أمرائهم بشىء من لذيذ طعامهم ، لكنه امتنع من الإصابة منه لما علم أنه قد خص بذلك دون من خرج معه للجهاد فى سبيل الله !

إن لنا أن نقرر بحق أن الإسلام لم يدع مشكلة من مشكلات هذا العصر الاجتماعية إلا عالجها علاجا حاسما وسهلا ميسورا ، علاجا لا نجده فى دين آخر أو أية دعوة إصلاحية أخرى .

إن أهم مشكلات هذا العصر ثلاث ، مشكلة الحكم ، ومشكلة الفقر ، ومشكلة المرأة . وإنه قد قرر علاج كل منها فى آية قصيرة من آى كتابه الكريم ، ففى الأولى يقول : " وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله " ، ويعنى هذا فى وضوح أن يقوم الحكم على أساس الديمقراطية فى غير نقص لهيبة الحاكم ، وفى الثانية يذكر من وسع الله عليهم فى الرزق " وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم " ، وفى ذلك إنصاف للفقير ماديا وأدبيا يجعل ما يصل اليه من مال الغنى حقا واجبا ، لا إحسانا وتفضلا ، وفى الأخيرة ، وهى

مشكلة المرأة ، التى تكاد تأخذ دورا جديدا عنيفا فى مصر والشرق ، يقول القرآن عن النساء : " ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة " ، وهـذا معناه إنقاذ المرأة من حياة الرق والاستعباد التى كانت تحياها قبل الإسـلام وتقرير مساواتها للرجل مع حفظ حق الرجولة وكرامتها .

لقـد عرفت يقينا فضل الإسلام فيما يتصل بالمرأة وأنا بفرنسا عام ١٩٣٩ ، فقد كان لخادمة الأسرة التى كنت أعيش بينها من القسمات والخلال ما ينبىء بكرم أصلها ، وفى الحق تبين صدق فراستى ، وأن عمها غنى رفض أن يتولى تربيتها ، فكان أن صارت خادمة ولم يستطع القضاء أن يكرهه على ما لا يريد ، ولما علمت ربة الأسرة منى أن الإسلام وشريعة الإسلام تكفل للمرأة المعيشة الراضـية ، سواء أكانت بنتا أو أختا أو أما أو زوجا أو نحو ذلك ، عجبت وضرت ، وقالت ، لو أن الأمر مثل هذا فى تشريعنا ودينا لما رأينا فتاة أو امرأة تضطر لكسب عيشها بنفسها فى كثير من المشقة والهوان ، ولرأينا الناس جميعا سعداء !

محمد يوسف موسى

أستاذ الأخلاق بكلية أصول الدين بالأزهر

نحن فى عصر لا سؤدد فيه إلا لمن كبر عقله ، وكثر علمه ، ولا بين زمان الحكم عمن هو أطهر نفساً وأشد إخلاصاً ، من أجل ذلك انصرفت الهمم فى أرجاء أوروبا إلى التعليم .

" الأمير مصطفى فاضل "

إنتاج العامل الزراعى فى مصر

نشرت صحيفة صباحية كلمة لطبيب كبير عقد فيها المقارنة بين إنتاج العامل الزراعى فى أميركا و إنجلترا والعراق ومصر ، وكانت الأرقام قريبة من هذه :

أميركا	٦٩١	أى ٧
انجلترا	٥٤٠	« ٥
العراق	٩٢	« ١
مصر	٩٠	« ١

ونسب الطبيب الفرق الشاسع بين إنتاج العامل الزراعى فى أميركا وانجلترا وزميلهما فى مصر إلى عاملين هما الجهل والمرض .

أما أن فى مصر جهلا فاشيا وأمية تقصر ٨٠ ٪ من السكان فلا شك فيه .

وأما أن فى مصر مرضين مستوطنين هما الانكلستوما والبلهارسيا وأن هذين المرضين يضعفان الفلاحين وينقصان قدرتهم على العمل والإنتاج فلا شك فيه كذلك .

ولكن ، هل إنتاج الفلاح الأميركى سبعة أضعاف إنتاج زميله المصرى راجع إلى الفرق بين الرجلين فى صحة الجسم والقدرة على العمل ؟

وهل هذا الفرق الشاسع راجع إلى جهل الفلاح المصرى القراءة والكتابة ؟

هذان سؤالان يترتب على الإجابة عنهما رسم طريق الإصلاح .

هب أن الفلاح المصرى نام ليلة وأصبح فى الصباح وقد شفاه الله من المرضين وأصدرت وزارة الصحة بلاغا رسميا يحمل البشرى السعيدة بأن فلاحى مصر قد أصبحوا أصحاء لا مرض فيهم .

وهب أن المعجزة لم تقف عند هذا الحد بل أصبح الصباح وإذا كل فلاحى مصر يقرأون ويكتبون وأصدرت وزارة المعارف بالاشتراك مع وزارة الشؤون الاجتماعية بلاغا يزف البشرى السعيدة إلى مصر والعالم أن الأمية قد أنقشعت ظلماتها عن وادى النيل وأن المصريين جميعا يقرأون ويكتبون وأن مستواهم العلمى ارتفع عن التعليم الإلزامى إلى التعليم الابتدائى وأن كل مصرى ومصرية يحمل الشهادة الابتدائية .

هب أن هاتين المعجزتين حصلتا بين ليلة ويوم هل ننتظر أن يبلغ محصول مصر الزراعى سبعة أضعاف ما كان عليه فى نهاية العام الذى حصلت فى أوله المعجزتان .

الجواب على هذا بالنفى حتما فإن زوال المرض وزوال الأمية لن يرفعا محصول فدان القطن من ٤ قناطير إلى ٢٨ قنطارا ومحصول القمح لن يرتفع من ٦ أرادب إلى ٤٢ أردبا، لأن الفلاح الذى كان يزرع الفدان شفى من البلهارسيا والانكلستوما ولأنه عرف القراءة والكتابة .

قد يترتب على المعجزتين بل سيترتب عليهما حتما زيادة فى المحصول ولكن هذه الزيادة لن تبلغ هذا الحد . قد تبلغ الزيادة ٢٠ ٪ أو ٥٠ ٪ أما سبعة أمثال فلا .

لابد إذن لوجود هذا الفرق الشاسع بين إنتاج الفلاح الأميركى وزميله المصرى من أسباب أخرى بجانب المرض والجهل فلنبحث عن هذه الأسباب .

أول ما يخطر ببالى هو نسبة عدد الفلاحين فى أميركا إلى الأرض التى يزرعونها ونقس هذه النسبة فى مصر .

لو أن الأرض الزراعية فى مصر وهى نحو خمسة ملايين من الأفدنة أصبحت خمسة عشر مليونا إذن لجاز أن يصبح المحصول فى مصر ثلاثة أمثاله .

السبب الأول إذن بعد المرض والجهل أو قبلهما هو ضيق الأرض الزراعية بالعمال الزراعيين ننتقل ، بعد هذا إلى السبب الثانى :

العامل الزراعى فى أميركا يستعمل فى الزراعة آلات ميكانيكية توفر المجهود البشرى وتسرع فى أداء العمل، فالمحراث الميكانيكى الذى يحرث الأميركى به أرضه يحرث فى اليوم عشرة أمثال ما يحرثه المحراث المصرى ولا يكلف الفلاح الذى يسيره من العناء والجهد مثل ما يتكبد الفلاح المصرى وهو يسير خلف محراثه من الصباح إلى المساء .

والفلاح الأميركى إن احتاج إلى رى محصوله استعمل ماكينة تروى الأرض وهو مستريح بخلاف زميله فى مصر الذى يروى أرضه بالشادوف والطنبور فيبذل من الجهد ما يشقيه ليروى قطعة أرض صغيرة المساحة .

أضف إلى ذلك ماكينات الحصاد والدراس وغيرهما مما يوفر الجهد البشرى ، فلو أن الفلاح المصرى استعمل هذه الآلات بعد أن تبلغ مساحة الأرض المنزرعة ١٥ مليون فدانا بدل ٥ ملايين إذن لزاد المحصول من ثلاثة أضعاف إلى خمسة .

ونتقل بعد هذه الخطوة خطوة أخرى .

لو أن الصناعات الزراعية أضيفت إلى الاقتصاد القومى، ولو أن المحاصيل التى يزرعها الفلاح الآن أضيف اليها محاصيل مما تثبت التجارب صلاحيتها لمناخ مصر وتربتها، ولو أن اختيار الأسمدة للمحاصيل الحالية اتبع فيه ما يتبع فى أميركا من تحليل التربة لتعرف ما يلزمها من عناصر لكى يكون المحصول الذى يزرع فيها أحسن ما يكون .

ولو أن التربة حللت لمعرفة خير ما تنتج من محصولات فلا يزرع فيها إلا ما يصلح لها وتصلح له .

إذن لبلغ الإنتاج سبعة أمثاله الآن .

* * *

ليس مرض الفلاح وجهله هما اللذان يحولان دون مضاعفة الأرض المزروعة فى مصر وإن هذه الزيادة تحتاج إلى مشروعات وإلى نفقات ، فإذا تحددت المشروعات ووجدت نفقاتها فان يحول مرض العامل الزراعى ولا جهله دون تنفيذ المشروعات .

وليس مرض الفلاح وجهله هما اللذان يحولان دون استخدام الآلات الحديثة مكان آلات الزراعة التى يستعملها الفلاح المصرى وهى بذاتها التى كان يستعملها قدماء المصريين ، فإن الفلاح المصرى له من الذكاء ما مكنه من إدارة الآلات حيثما وجدت وقيادة السيارات وسيارات النقل وجرارات المحاريث لا يحول مرضه ولا جهله بينه وبين استعمالها كما نشاهد فى التفاتيش والدوائر .

وليس مرض الفلاح وجهله هما اللذان يحولان دون إنشاء معامل تحليل التربة للتأكد من صلاحيتها لنوع من المحصولات دون النوع الآخر ولا لتحليل أنواع السماد فلا يستعمل نوع لمحصول إلا إذا كان أغنى الأنواع بالمخصبات اللازمة للمحصول بذاته .

أما ان فى الفلاح أمراضا تتمنى له الشفاء منها فلا جدال فيه ، وأما ان جهل الفلاح يجب انتشاله منه فلا نزاع عليه .

وإما أن تحمل الفلاح تبعة نقص إنتاجه عن إنتاج زملائه فى أميركا وانجلترا وغيرهما فما لا يجوز أن نسلم به .

علينا نحن المتعلمين الإصحاء أن نزيد الأرض التى يزرعها الفلاح ، وعلينا أن نوفر له الآلات الحديثة التى تود عليه بعض عافيته وتهبه قسطا من الراحة ، وعلينا أن نقول له ازرع هذا المحصول هنا وازرع ذلك هناك واستعمل هذا السماد لهذا واستعمل هذا السماد لذاك .

فإذا فعلنا فان دأب الفلاح المصرى وصبره وحبه للعمل يجعله ينسى مرضه ويجعل جهله قليل الخطر ويجعل المحصول المصرى لا يقل عن الإنتاج الأميركى .

فهل فى الإمكان زيادة الأرض وتوفير الآلات؟ هذا السؤال يجيب عنه القادة الأصحاء المتعلمون .

عريان يوسف سعد

علة العلل فى مصر

مشكلة ازدحام السكان

طالعتنا مجلة الشؤون الاجتماعية بآراء كبار رجال مصر فأعربوا جميعا عن أن علل مصر كلها تنبع من مشاكل ثلاث هى الفقر والجهل والمرض ولو دققنا النظر لوجدنا أن علة العلل فى مصر هى ازدياد السكان زيادة عظيمة جعلت محصول مصر لا يكفى أهلها، فتسبب عنها الفقر، والجهل والمرض .

بينما يزعم البعض أن مصر تواجه مشكلة ازدياد السكان يرى البعض الآخر أنها لم تبلغ بعد هذه الدرجة ، فيعضد الرأى الأول الأستاذ كراوشلى[٢] إذ يقول "ولا يمكننا أن نجزم بأن مصر اليوم مزدحمة بالسكان فهناك مساحات كبيرة من الأراضى التى أصلحت حديثا فى شمال الدلتا والتى وقف تقدمها بسبب النقص فى العمال الزراعيين " ... ... " ليست المشكلة مشكلة ازدحام السكان بل سوء توزيع " ... ... " ولا نتوقع أن تواجه مصر فى المستقبل القريب مشكلة ازدحام السكان، فيمكن زيادة الأراضى الصالحة للزراعة بنسبة ٥٠٪ إذا صرفت عدة ملايين من الجنيهات على الرى والصرف " .

ويعضد الرأى الثانى الدكتور وندل كليلاند[١] إذ يقول " إن كانت الحالة الحاضرة سيئة فإن المستقبل سيكون أسوأ ما لم تتخذ خطوات سريعة لكى تعالج هذه الحالة . فإذا نظرنا إلى المشكلة من أى ناحية ، فإننا لا مناص ملزمون بالجزم بأن مصر شديدة الازدحام بالسكان " . والغريب أن كتاب الأستاذ كراوشلى طبع بعد كتاب الدكتور كليلاند .

ويبدو لنا أن الرأى الثانى هو الصائب إذ أننا إذا نظرنا إلى الاحصاءات السابقة للسكان ولمساحات الأراضى وجدنا أن ازدياد السكان فاق الزيادة فى الأراضى المزروعة ، وهذا سبب المشاكل الكثيرة التى نحن الآن بصددها .

ففى عام ١٨٩٧ كان تعداد مصر ٩,٧٣٤,٤٠٥

وفى « ١٩٠٧ « « « ١١,٢٨٧,٣٥٩

وفى « ١٩١٧ « « « ١٢,٧٥٠,٩١٨

(١) CROUCHLEY, A. E., "The Economic Development pf Modern Egypt"

(٢) CLELAND, W., "The Population Problem of Egypt"

وفى عام ١٩٢٧ كان تعداد مصر ١٤,٢١٧,٨٦٤

» ١٩٣٧ » » ١٥,٩٠٤,٥٢٥

(هذه الأرقام مستقاة من كتاب مشكلة السكان فى مصر للدكتور كليلاند ما عدا الرقم الأخير) .

وهذا الجدول يبين بجلاء التقدم السريع فى عدد سكان مصر فى الأربعين عاما الماضية ويقول حضرة صاحب السعادة محمد على علوبه باشا "يرى بعض رجال العلم أن بلدا هذا شأنه لا تزيد مساحة الأراضى الزراعية فيه والقابلة للزراعة عن ٣٥,٠٠٠ كيلو متر مربع . لا تزيد إلا قليلا لا يمكنه أن يغذى غذاء صحيا أكثر من اثنى عشر مليونا من الأنفس" . وفى عام ١٩٣٩ ، كان عدد سكان مصر ١٦,٥٢٢,٠٠٠ نسمة أى أن بمصر حوالى أربعة ملايين ونصف نفس زيادة على مقدرتها ولا غرابة إذا قرأنا أن مصر تفوق جميع الدول فى نسبة ازدحام سكانها وسرعة نموها ، فقد كنتجهام فى كتابه " أنه لا يمكن لأى دولة أوربية مهما كان لها من شأن أن تفوق مصر فى سرعة نمو سكانها منذ عام ١٨٩٧ " .

وأمام هذه الزيادة المنقطعة النظير لا يمكننا الوقوف مكتوفى الأيدى ، إذ أن الزيادة ستستمر وستزداد على توالى السنين وسيستفحل أمرها ويعظم شأنها ما لم تمتد اليها يد الاصلاح السريع .

فى مصر حوالى أربعة عشر مليونا لا يملكون من أرض مصر شبرا فقير ولا يتفعون من خيراتها الا بالقدر اليسير والقسط الزائد رغم أنهم هم الذين ينتجون ثروة مصر وهم حضارتها . يستخرجون التبر من التراب ولا يناله منه سوى النذر القليل من الشوائب العالقة به . وقد ذكر حضرة صاحب العزة عبد السلام محمود بك مدير المنوفية فى تقريره الذى قدمه لدولة حسين سرى باشا فى العام الماضى أنه نظرا لازدحام السكان فى مديرية المنوفية ، يتناول الفلاح قوتا واحدا فى اليوم نظير تعبه فى الحقل من طلعة الشمس إلى غروبها . هذا حال ٨٠٪ من سكان مصر ، أى أن البلاد كلها تعانى الفقر بسبب ازدحام السكان .

(١) محمد على علوبة باشا " مشكلة الشباب " مجلة الشؤون الاجتماعية — العدد الأول يناير سنة ١٩٤٢ صفحة ١٩

(٢) " احصاء القطر المصرى لعام ١٩٣٩ — ١٩٤٠ " .

(٣) CUNNLNGHAM, A., "To Day In Egypt" London: Hurst & Blachett, 1912.

(٤) Fellaheen Living On P.T. 1Per Day', The Egyptian Gazette March 12, 1941

وقد ذكر فى تقويم الهلال لعام ١٩٣٨ فى مقالة عنوانها " هل ضاقت مصر بسكانها " أنه إذا كانت أرض مصر لا تكفى أبنائها حتى ولو وزعت بينهم جميعا توزيعا عادلا ، فما بالك وقد حرم أكثرهم أن يمتلك شبرا منها ، وخصص نصفها لبضعة آلاف قد لا يحسنون استثمارها لاتساع رقعتها ولزيادة عن حاجتهم ؟

فان أردنا الإصلاح الاجتماعى فلنبدأ بمشكلة السكان فى مصر ولنعالجها لأن منها تخرج المشاكل الأخرى وتتشعب . وهنا يبدو لسائل أن يسأل " وكيف نعالج مشكلة السكان " ؟

هناك حلان لا ثالث لهما . الأول هو زيادة الإنتاج المحلى ورفع مستواه حتى يتمشى مع نمو السكان ويتناسب معه . يمكننا أن نتمنى ثروتنا بشتى الطرق ، فهناك مليون فدان من الأراضى التى يمكن إصلاحها فى الوجه القبلى ومليونين فى الوجه البحرى . وهذه الأراضى لو تم إعدادها للزراعة وذلك بتصريف المياه منها وترسيب طمى النيل فيها لساعدت على تخفيف وطأة ضغط السكان ولكانت مأوى لعدد كبير من الفلاحين يسكنون فيها ويفلحون أرضها ، ويتفعون مما تنتجه من الأرز والغلات الأخرى [1] فلو علم المصريون أن طمى النيل الغنى يذهب هباء فى البحر سنويا دون أن يستفاد منه وأن قيمة هذا الطمى تبلغ زهاء مليون جنيه وأنها كافية لكى تغطى مساحة قدرها ٨٠٠٠ فدان بطبقة من الطمى سمكها متر، لعلموا مقدار ما يخسرونه كل عام من أخصب سماد . ولو علموا أنهم ينفقون سنويا ثمانية ملايين من الجنيهات يشترون بها السماد من الخارج وأن الحرب الحالية قد سببت قلة الوارد منه وارتفاع سعره وشدة حاجتهم اليه ، لو علموا كل هذا لعضوا أصابعهم حسرة وندما على الفرصة التى ضاعت منهم عندما رفضوا مشروع كهربة خزان أسوان ، الذى كان يمكنهم بواسطة أن يصنعوا السماد من الجو ويوفروا بذلك هذا المبلغ الطائل الذى يخرج من جيوب المصريين إلى البلاد الأجنبية [2]

ولكن تمكن من زراعة الأراضى البور ، لكى نحتاج إلى الماء ولكى نروى به هذه الأراضى الجديدة . ولا ننسى أن هناك أربعة مشروعات للرى يمكن لمصر لو نفذتها أن تحتفظ بكل نقطة من مياه النيل لأنه أثمن شىء لديها ولولا النيل لكانت مصر صحراء قاحلة فالمشروع الأول يرمى إلى تحويل بحيرة فيكتوريا إلى خزان طبيعى وذلك بإقامة سير عند بدء خروج النيل منها وبهذا يمكن الوثوق من حفظ كميات كبيرة من المياه فى البحيرة والمشروعان الثانى والثالث يماثلان المشروع الأول وهما يرميان إلى تحويل بحيرة تانا وبحيرة البرت إلى خزانين للماء . أما المشروع الرابع فقد اقتراحه السير وليم جارستن والسير مردخ ماكدونالد، وهو يقضى .

[1] توفيق دوس باشا ، " موارد مصر الطبيعية " مجلة الشئون الاجتماعية العدد الثالث مارس سنة ١٩٤١

بأن تحفر قناة بين مدينتي التوفيقية و بور ، و يحول إليها مجرى النيل مبتدئا من منطقة غابة شامبي التي تضع فيها مقادير كبيرة من مياه الفيضان [١] .

هذا من جهة إنماء ثروتنا الزراعية ، أما ثروتنا الاقتصادية فان أتعرض لها لأنها تحتاج إلى بحث دقيق جدا و يستغرق الكلام عنها كثيرا .

والحل الثاني الذي به يمكننا أن نعالج به مشكلة السكان هو العمل على نقصه . وكيف ذلك بالتعليم والإرشاد ، فقد أثبتت دول الغرب صدق هذه النظرية وهي أنه كلما ازداد الشعب علما كلما نقص عددهم . وهذه الحقيقة هي التي لم يوفق إليها " مالثوس " أول من عالج مشكلة السكان ووجه نظر العالم إليها . أنه خير لنا أن نكون شعبا ممتلىء الصحة موفور الغذاء وعددنا إثنى عشر مليونا من أن يكون عددنا سبعة عشر مليونا ولا يجد معظمنا الطعام الصحي . وقد ذكر الدكتور محمد عوض محمد [٢] أن معدل عمر الرجل المصري ٢٧ عاما والمرأة المصرية ٢٤ عاما . فاذا عددنا أن السن التي فيها يبدأ الشخص بخدمة وطنه وهي الثامنة عشرة فان المصري لا يخدم مصر إلا بتسعة أعوام على المتوسط . أما في إيطاليا فان معدل عمر الرجل هو ٤٩ عاما وفي فرنسا ٥٢ وفي انجلترا وألمانيا ، وعند هذا فان الرجل الإنجليزي يقدم لوطنه خدمة ٣٧ عاما وهذا يعني أن حياة مليون بريطاني خير من حياة أربعة ملايين مصري

ولعل المرض هو السبب في هبوط متوسط عمر الرجل المصري ، والمرض سببه :

الفقر ، والفقر نتج عن ازدحام السكان . فان أردنا بمصر خيرا فلنبدأ أولا بعلاج علة العلل " مشكلة السكان " .

وديع فلسطين

---

(١) الدكتور محمد عوض محمد ، " نهر النيل " — لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٢٩

(٢) « « « « ، " سكان هذا الكوكب " لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٦

فرانكلين روزفلت

كمصلح اجتماعى

إذا حق لرجال السياسة والمعنين بمستقبل الشعوب أن يبكوا روزفلت العظيم وأن يشيدوا ساعة فقده بهذا الدور الخالد وذلك الأثر الفعال الذى أحدثه فى توجيه دفة الحرب القائمة وترجيح النصر لحلفاء الحرية، فان دعاة الاصلاح الاجتماعى فى كل قطر والعاملين له فى مختلف الجماعات ليشعرون بمرارة وخيبة أمل إذ يفقدون فى الرئيس العظيم رجلا من خيرة رجال الاصلاح، وعلما من صفوة أعلام الاجتماع، وإذا كانت المسألة الاجتماعية قائمة على تنسيق كيان اجتماعى سليم سداه العدالة ولحمته صون الحريات فان صيحات رجل العدل والحريات لا زالت أصداؤها على فقده مدوية فى كل قطر، وأن فى أعماله لخير من ولى أمرهم لأسوة حسنة وقدوة صالحة لكل ولى ونصير.

نبت روزفلت من سلالة سبرت الحرية فى أغوارها فقد كان أجداده من رجال البحر يعملون فى نقل البضائع من الصين وقد انحدر منهم أبناء بلغوا أرفع المراتب، فمنهم خمسة تولوا مناصب وكالة البحرية الأمريكية واثنان نالا شرف الرئاسة هما تيودور وفرانكلين روزفلت.

ولد فرانكلين ديلانو روزفلت فى اليوم الثلاثين من شهر يناير عام ١٨٨٣ بقرية "سبرنج وود" من أعمال ولاية نيويورك وهى المعروفة اليوم باسم هايد بارك، وتلقى العلم فى مدرسة جرتون، ثم التحق بجامعة هافارد وكولومبيا ونال إجازة الحقوق.

وفى عام ١٩٠٧ انتظم فى سلك المحاماة فعمل بادئ بدء فى مكاتب بعض مشاهير المحامين فى نيويورك ثم نزع الى الاستقلال فاشترك مع زميل له فى ادارة مكتب قضائى، وفى عام ١٩١٠ انتخب روزفلت عضوا فى مجلس الشيوخ ثم عين فى عام ١٩١٣ وكيلا للبحرية الأمريكية وظل فى منصبه هذا حتى عام ١٩٢٠ وقد أظهر روزفلت خلال خدمته لبلاده من الكفاية والجدارة ما رفعه فى أعين مواطنيه فرشحوه فى عام ١٩٣٢ لرآسة الجمهورية ففاز بها ضد هوفر وفى عام ١٩٣٦ تجدد انتخابه، ورغما من أن التقليد الأمريكى لا يجيز تجديد انتخاب الرئيس لأكثر من دورتين فقد خرق التقليد لكفاية الرجل النادرة فانتخب ثالثة فى عام ١٩٤٠ ورابعة فى عام ١٩٤٤

عمل روزفلت للاصلاح وقد نجح ونجح الى أبعد مدى، ما كان نجاح المصلح الأمريكى وليد ظروف أو نتيجة مصادفات، وإنما بلغ الرجل ما بلغ لخلال تحلى بها، خلال فيها أسوة لدعاة الاصلاح وقدوة.

خلق عظيم :

تطالعنا سيرة روزفلت أن أول ما لفت الأنظار إليه هو ذلك الخلاف الذى نشب بينه وبين المستر تشارلس مارفى رئيس الحزب الذى انتمى فى فجر حياته السياسية إليه ، فقد رشح مارفى رجلا رآه روزفلت غير جدير بكرسى النيابة ، وإذ فشل روزفلت فى حمل الحزب على التخلى عن هذا الترشيح لانضواء أعضائه لرأى الرئيس وانقيادهم الأعمى له أعلن روزفلت استقلاله وجاهر بمعده عن الحزبية ومعاداته إياها ، وأورد فى خطاب استقالته كلمته المأثورة " إن احترام الرجل ضميره خير له ولأمته من الانقياد لرئيس حزب " وقد كان من أثر صيحة روزفلت أن انتصر الناخبون لرأيه وخذلوا مرشح الحزب .

وقد تمكنت هذه العقيدة ، عقيدة الاستقلال بالرأى فى نفس روزفلت فجرد بدافعها تكوين جماعة الـ "New Dealers" ومبدؤها " البرامج قبل الأحزاب " وغايتها الحكم على المرشحين بقدر ما يعرضون من برامج يرونها محققة مطالب من سيمثلونهم مستلهمين فى ذلك بماضيهم غير متأثرين بأشخاصهم ولا ناظرين إلى لونهم الحزبى .

شجاعة ومروءة

ولن يعوزنا للتدليل على شجاعة الرجل بيان ما قام به إبان إن كان وكيلا للبحرية الأمريكية خلال الحرب العالمية الماضية حين استقل بنفسه المدمرة "دابر" ومضى يتفقد أكثر من خمسين قاعدة بحرية من أسور إلى كورفو ، وينزل فى جبهات القتال وخطوط النار البلجيكية والفرنسية ولا ما بذل حينذاك من عمل لدحر البحرية الألمانية عمل يكفى أن يثبت فيه شهادة الأميرال سيمز الذى وصفه بأنه "من عجائب الحرب" ولا إشادة الأميرال هاريس بخطته الرائعة فى الحصار البحرى ولا وقفاته فى الحرب الأخيرة بالكونجرس يدافع عن قانون الإعارة والتأجير ثم يعمل ويفلح فى حمل بلاده على الاشتراك فعليا فى الحرب — ولا تلك الرحلات الطويلة الشاقة وهو كسيح عليل يجوب البحار ويجتمع بالأقطاب ويهيىء المؤتمرات لإقامة سلام عالمى ويبذل جهودا ناءت دون احتمالها رأسه فخر من جراءها صريعا فى معمعة الكفاح . . كل أولئك حقائق ندع تبيانها لكتاب السياسة وصحفها ، ندع هذا جانبا ونكتفى بمثل صغير ، مثل لخدمة اجتماعية نسوقه لقارئ الشؤون الاجتماعية مثل فيه المروءة كلها والتضحية أتمها — فقبيل انتخابه الأول بينما كان روزفلت يقوم نزهة بحرية بالقرب من غابة كامبوبيللو شاهد حريقا يشب فى الغابة فخف لنجدته بيخته (سابالو) إلى مكانه وأخذ يعمل مع من كان معه من أفراد أسرته على حصر النيران والحيلولة دون امتدادها حتى تمكن بعد كفاح عنيف من إخمادها — ولكن الجهد الذى بذله وهو لا يرتدى غير ثوب الاستحمام بين البرودة تارة والحرارة طورا قد سبب مرضا تفاقم حتى بدا فى شكل شلل عم نصفه

الأسفل ، ومن ثم آل رجل الرحمة على نفسه ألا يدخر جهدا فى مد يد المعونة إلى كل مريض بالشلل ، وقد زادت هذه المعونة حين تسلم رئاسة الجمهورية إذ أمر بتخصيص إيراد كل الحفلات التى تقام فى أعياد ميلاده لمعالجة المرضى بالشلل فى عيون جورجيا المعدنية ، وقد جمع فى السنة الأولى من رياسته نحو مليون من الدولارات أنفقت كلها فى هذا السبيل ، ولما زاد ما جمعه مواطنوه عن الحاجة أمر بتخصيص ما فاض لمعهد الأبحاث الأهلى لكساح الأطفال .

فى صميم الاصلاح الاجتماعى

بدأ الرئيس روزفلت الاضطلاع بعمله فى البيت الأبيض فى وقت بلغت فيه الأزمة الاقتصادية العالمية أشدها وكانت الولايات المتحدة الأمريكية — وهى أولى دول العالم فى الانتاج الصناعى والزراعى — كانت تجتاز تبعا لذلك دورا خطيرا كاد يلقى بأهلها وأرباب الأعمال من رجالها فى هوة الافلاس — فقد هبط الانتاج الصناعى والزراعى فيها حينذاك الى ٤٧ فى المائة مما كان عليه قبيل الحرب العالمية الماضية كما نزل مستوى الأجور الى أربعين فى المائة وغرقت معظم البيوت المالية كبيرة وصغيرة فى الديون من جراء قلة المعاملات وكساد الانتاج بسبب نمو حقول إنتاج أخرى فى العالم القديم ومنافسة الدول الأوروبية التى جددت بنيانها بعد الحرب الماضية وتضاعف الإنتاجين اليابانى والروسى أثر مشروع عام ١٩٢٨ هذا الى ما خلفته تلك الحرب من قيام صناعات محلية كثيرة فى البلاد التى كانت تعتمد على الولايات المتحدة فى تموينها . أدى كل هذا الى تعطيل الملايين من العمال الأمريكيين وما جر هذا التعطل من انحطاط صحى وعمرانى — فماذا فعل الرئيس حيال هذه المحنه ؟

يقول المستر دونالد ريشبرج سكرتير المجلس التنفيذى للرئيس فى التقرير الرسمى الذى اصدره فى سبتمبر عام ١٩٣٤ مايلى :

ان الرئيس تمكن بخططه ومشروعاته فى عام واحد من أن يرفع أسعار سبعة حاصلات هامة وأن ينقذ أكثر من مليون بيت تجارى من الافلاس إذ أمدها بقرض قدره خمسة مليارات من الدولارات كما استطاع بانعاشه الصناعة أن يوجد عملا لأربعة ملايين من العمال المتعطلين وأن يهيىء بمشروعاته العامة عملا مؤقتا لأربعة ملايين آخرين وعملا دائما لما يقرب من ثلثى مليون .

وسياسة الانعاش الاقتصادى التى أتجهها روزفلت هى من أعظم ماسجله التاريخ لرئيس دولة من الدول وقد عادت خططه الخاصة بحماية الأسعار ومقاومة الأغراق وتنسيق الصلة بين الزراع والتجار ورجال الصناعة بأجزل الفوائد ، وكانت هذه الخطط من أهم العوامل فى تخفيف تلك الأزمة الاقتصادية لافى بلاده فحسب بل فى العالم أجمع لما للانتاج الأمريكى من أثر فعال فى السوق الدولى .

ويعد لرئيس روزفلت من أكثر الحكام حبا للتعمير فمشروعاته فى اصلاح الأراضى وغرس الغابات وتهيئة الأنهار والموانى للملاحة واستخدام القوى الطبيعية فى توليد الكهرباء تقوم كلها شاهد صدق على نشاط الرجل وغيرته على بلاده .

وروزفلت هو الذى تم على يديه حل مشكلات الأجور وساعات العمل وهى المشكلات التى كانت تهدد المصانع دائما باضراب العمال ووقف العمل فيها — وقد تمكن بجهوده ونظمه من مساعدة أصحاب الأعمال بتوفير انتاجهم والعمل بواسطة الحكومة على حسن تصريفه كما نسق الاتصال بين نقابات العمال واتحاد أصحاب الأعمال وبهذا خف الى حد كبير ما كان يقاسيه الأولون من البطالة ويتحمله الآخرون من الاضرار وخاصة حين يلجأ المشتغلون من العمال الى الاضراب أو يعملون الى شل حركة العمل بالمصانع .

والمقاجر بالطريقة المعروفة بامريكا Bayeottage ومؤداها التشهير بمنتجات صاحب العمل الذى لايحقق مطالب عماله والوقوف ببابه للحيلولة دون اتصال العمال أو المتعاملين من المشترين به — وروزفلت هو أول رئيس أمريكى أشرك السيدات فى الحكم بتعيولهن بين وزرائه —

كذلك عمل الرئيس روزفلت على تأمين الأجير على مستقبله إذ رسم لأصحاب الأعمال خطة تحملوا بموجبها ثلث تكاليف تأمين إجتماعى لحياة عمالهم وتحملت حكومة الولايات المتحدة الثلثين وقد قدر المستر رالت والامس فى مقال بصحيفة The Teacher's Biudimeas عدد من انتفع بهذا النظام بخمسة عشر مليون عامل — كذلك سعى روزفلت ووفق لترتيب معاشات لعمال الشركات ساهمت فيه الحكومة بما متوسطه خمسة وخمسون دولارا كل شهر للعامل الواحد وتحملت الشركات فيه بما قدر بألف مليون من الدولارات كان نصيب شركة واحدة منه هى شركة شل عشرة ملايين فى العام الماضى .

هذا بعض ما أداه روزفلت فى نواحى الاصلاح الاجتماعى داخل بلاده أما المجتمع الخارجى فقد هدف رجل العدالة والسلام فيما استشعره من تحقيق وصون الحريات الأربع وفيما صرح به فى طهران وفى القاهرة وفى اجتماع منذوبى الدول المتحالفة بدمبرتون اوكس بواشنجطن من أمله فى إعداد منهاج يحقق سعادة الشعوب وحرياتها ، واذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد ضحت بتوجيه روزفلت وبسبب سياسته التى خرج بها عن تقليد بناة الوطن الامريكى من التزام العزلة ، ضحت فى هذا بمائة الف من أبنائها و بمائتى بليون دولار من أموالها كما قدر ذلك توماس جونسون فيما كتب فى "الدفاع عن امريكا" فقد هدف الرئيس رووزفلت مع ما هدف لخير أمته الى غاية قد تكون أسمى مكانا هى العمل لنصرة الحريات واقامة سلم عالمى أبت الأيام ألا يشهد الداعى اليه يعينى رأسه أبرامه وتحقيقه .

محمد عبد الكريم

من صحف المجد

ماركونى

الرجل الذى اضاء العالم

للكاتبة زينب محمد حسين

من منا لم يسمع باسم ماركونى، ومن منا لم يهتف باسم ماركونى، إن اسمه العظيم ليتردد مرات كل يوم على ألسنة الخلق فى مختلف أنحاء المعمورة ، ومن النادر أن يذكر الناس أن لماركونى وطنا معينا ، فهو فى رأيهم ابن كل وطن ، لأنه أشرق بعلمه على كل وطن .

ماركونى كلمة يرادفها العبقرية والنبوغ ، كلمة يشعر قائلها بشىء غير قليل من الفخر والمباهاة، لأن انسانا مثله استطاع أن يغلب الجنس البشرى على سائر الأجناس بما امتاز به على باقى المخلوقات بالحيلة والاختراع .

حقا لقد فقد العالم بموت ماركونى عبقريا عظيما من الذين وهبوا ملكة الاختراع فأوقفوها على خدمة المجتمع العالمى ، ولكن اسم هذا العبقرى الخالد التى ظهرت فيه قوة جلت للبشر شيئا من أسرار الكون وعظمة الخالق سيظل حيا مابقى الزمان ، فان الخلود قد سطره فى صحفه ، والدهر قد سجل حياته إلى جانب حياة العباقرة الذين لاترتبط اسماؤهم بزمن بل هى كالأبدية لا لحدود لها .

ملأ الكون اسم ماركونى وسيظل كذلك أبدا مادام فى الكون شىء اسمه الأثير .

* * *

فى بلدة " مرزا بوتو " الواقعة فى مقاطعة بولونيا بشمالى ايطاليا ولد ججليو ماركونى سنة ١٨٧٤ لأب ايطالى وأم ايرلندية ، وتلقى علومه فى " ليفون " على يدى الأستاذ "روسا" ثم فى مدرسة بولونيا العالية على يدى الأستاذ " ريجى ".وكانت العلوم الطبيعية تشغل كل أفكاره خصوصا مايتصل منها بالكهرباء ، فكان يقضى كل أوقاته تقريبا فى البحث والتنقيب متتبعا بلذة وشغف ما كان يخطه العالم الألمانى الكبير " هرتز " من أبحاث فى الموجات الأثيرية والاتصالات اللاسلكية ، وفى الحادية والعشرين من عمره كان شغفه باللاسلكى قد بلغ حدا كبيرا حتى تحول إلى عقيدة راسخة وقدم اختراعه الأول .

وفى سنة ١٨٩٦ سجل ماركونى اختراع " العلامات اللاسلكية " فى انجلترا، وكان هذا الاختراع بسيط جدا لايلتقط إلا الأشارات المرسلة من مسافة قصيره ، ولكن الشاب لم يقنع بما وصل اليه بل أكب على تحسين اختراعه بهمه ونشاط حتى استطاع أن يلتقط فى سنة ١٨٩٩ اشارة لاسلكية على بعد ٣٠٠ كيلو متر ، فأسس فى لندن شركة التلغراف اللاسلكى ثم حولها إلى " شركة ماركونى للتلغراف اللاسلكى " .

ولما تبين لماركونى نفع اختراعه العظيم إزاء العالم أجمع ، أنشأ تحت إدارته محطات لاسلكية على طوال الشاطئ الانجليزى ، وقد برهنت التجارب فى هذه المحطات على أن ما كان يعد خرافة قد أصبح حقيقة عملية ومجدا عظيما للعقل البشرى .

فالارسال اللاسلكى قد بدأ مع أول عاصفة كهربائية هبت فى فجر تكوين العالم، وكان أول وميض برق مركز إذاعة لاسلكية سارت أمواجها فى الفضاء تجتاز الجبال والبحار وتخترق الغابات والقفار . غير أن الانسان لم يعرف ذلك الحدث الطبيعى إلا منذ زمن قريب .

لم يولد علم الطبيعة الذى تفرع منه اللاسلكى دفعة واحدة بل تكوّن تكوينا بطيئا متغذيا بما كان يضيفه اليه العلماء عاما بعد عام حتى جاء اكتشاف ميخائيل فردای سنة ١٨٣١ فى التأثير الكهربائى، وكان قد عرف فردای مما كتبه وليم جلبرت سنة ١٦٠٠ أن الكهرباء والمغناطيس مختلفان وليسا شيئا واحدا . وكانت الكهرباء إذ ذاك معروفة والبطارية التى اخترعها فولتا الإيطالى سنة ١٧٩٩ مستعملة .

وبدأ تاريخ الاتصال اللاسلكى بميخائيل فردای وجوزيف هنرى لأن تجارب هما كانت أول خطوة نحو المواصلات اللاسلكية وأن جهل صاحباها أنها مؤدية الى المواصلات اللاسلكية . ولما كان فرادى لم يضع لنظريته قوانين فقد درس هذا الموضوع كلارك مكسويل وجعل له قوانين تحدد قوة المجال المغناطيسى وأثره الكهربائى وتضبط تجارب فردای التى لم تكن تشمل غير أثر المغناطيس فى الكهرباء . غير أن مكسويل أظهر بقوانينه الرياضية أن كل تغيير يحدث فى التيار الكهربائى له أيضا أثره المغناطيسى ولم يكن فردای قد أظهر هذه الحقيقة بتجاربه قبل ذلك .

وفى سنة ١٨٩٢ بين ادوار برانلى أن الأمواج التى تحدث عن التفريغ الشررى لها تأثير غريب فى برادة الحديد إذ أنها تجعل هذه البرادة تتلاصق وتقلل من مقاومتها للكهرباء . ولكن برانلى لم يدرك عظمة اكتشافه . غير أن السر أولفر لودج قد فطن الى خطورة الاكتشاف وأبان سنة ١٨٩٤ أنه يمكن استعمال أمواج هرتز ورابط برانلى للتخاطب عن بعد بواسطة نظام مورس .

وعندئذ ظهر "جوليلمو ماركونى" وكان وقتئذ فى طرادة العمر ومبعة الصبا ، ولكن بلوغه الواحد والعشرين من عمره لم يصرفه الى الهوى والعبث اللذين يسيطران على أدمغة من هم فى مثل سنه ، بل استعان بقوة الشباب على انماء هويته فى اللاسلكى وأكب على دراسته على ضوء ما وصل اليه الباحثين والعلماء فركب جهازا لإحداث الشرار الكهربائى ووضعه على منضدة احد أركان حجرته ، وفى الركن المقابل له وضع شبه جهاز برانلى وبين لحظة وأخرى استطاع أن يرسل الاشارات من الجهاز الأول و يلتقطها بالجهاز الآخر . لكنه بثاقب فكره و بعد نظره أدرك نتيجة التجربة ، فكانت الاشارات التى استعملها فى تجربته مضبوطة على نظام مورس التلغرافى وهو نظام النقط والشرط . وهكذا نفح العالم ببذرة

المواصلات اللاسلكية وكان ذلك سنة ١٨٩٥ . ومن ثم تعاون لودج وماركونى على تحسين الأجهزة اللاسلكية . وكان ضبط طول الأمواج و إصلاح الأجهزة لتكتسب الصفات الكهربائية المتماثلة من أكبر اكتشافات لودج .

ولم تظهر عجائب اللاسلكى بصورة واضحة إلا بعد أن تحولت طريقة التفاهم من إشارات تلغرافية إلى محادثات كلامية وأصوات موسيقية ، ويعود الفضل فى هذا إلى فسند ودرول وبربنك ، ثم جاء فلمنج وصنع المصباح ، وهذا الذى بلغ بالمواصلات اللاسلكية إلى درجتها الحالية .

وكان عام ١٩١٣ عظيم الأثر فى تاريخ اللاسلكى ففيه انتقلت الإذاعة من مجرد إرسال إشارات تلغرافية إلى استطاعة إرسال محادثات ونغمات موسيقية ، وفى السنين الأولى من الحرب الكبرى الماضية خرج اللاسلكى من معامل العلماء إلى ميادين التجارة ومنازل الجماهير .

ومن الحوادث التى سجلها التاريخ وتدل على عظمة ماركونى إنارته المعرض الدولى فى سيدنى بأوستراليا يوم افتتاحه سنة ١٩٣٠ فى الساعة الخامسة من يخته " الكترا " الراسى فى مرفأ جنوا ، ومثل هذا فعل سنة ١٩٣٣ فأنه أنار معرض شيكاغو من يخته وكان راسيا فى خليج نابلى .

وفى سنة ١٩٣٢ أعلن نابغة اللاسلكى اكتشافا جديدا وهو طريقة استخدام الأمواج الحرتزية القصيرة التى ترسل إلى مسافات بعيدة جدا دون أن يطرأ عليها ضعف أو اضمحلال فتمكن من مخاطبة محطة معينة دون أن يشترك فى التقاط الكلام غيرها من المحطات ، وبهذا الاكتشاف أوجد طريقة سرية للاتصال اللاسلكى .

أجمعت كل الأمم على إكبار ماركونى وعينته الحكومة الإيطالية عضوا فى مجلسها الاستشارى الكبير ورئيسا للجنة الأبحاث العلمية الوطنية ، ومنحه ملك إيطاليا لقب مركيز ، ونال جائزة نوبل للعلوم الرياضة سنة ١٩١٩ ، وهكذا تحتفى الدول بأبنائها فتكرمهم أحياء وتخلد ذكراهم أمواتا .

تزوج ماركونى مرتين ، فامرأته الأولى هى بياتريس أو بريان ابنة اللورد أينشكين ، وكان زواجه منها سنة ١٩٠٥ ولكنها طلقت منه سنة ١٩٢٤ وصدق على ذلك مجلس الفاتيكان سنة ١٩٢٦ ، ثم تزوج ثانيا من الكونتس بيزى مكالى وظلت معه حتى وفاته .

هذه نبذة من حياة رجل اللاسلكى العظيم الذى يتجدد ذكره كل يوم مرات على ألسنة الناس ، والذى أدهش العالم بنبوغه وعظمة فكرة وسمو إدراكه ، وقد صرح ماركونى قبل أن يموت أن اللاسلكى لا يزال فى خطواته الأولى وأن فى المستقبل مدهشات وغرائب ، وأنه يرجو أن يزدهر هذا الاختراع على يدى أبناء الجيل القادم حتى يكون هذا الاختراع عاملا فى سبيل سعادة الإنسان ورفاهيته ، لأن العلم ليس بذى قيمة ما لم يسخر فى سبيل خدمة المجتمع و إسعاد البشر فى مختلف أنحاء العالم ".

التسوّل

مافعلته "الترنسفال" و "بولندا" للقضاء عليه

انقضت نحو ثلاث عشرة سنة منذ دخل قانون التسوّل فى التنفيذ ، ولكن لو أردنا استعراض الحوادث منذ أن صدر القانون لنرى إلى أى حد أمكن تنفيذه ، نرى العجب . فالمتسوّلون الذين أرسلوا إلى الملاجئ فى تبرم دائم ، بل كثيرا ما حدث منهم شغب وهم غير راضين عن حالهم . والذين فروا من مراقبة الحكومة يملأون الشوارع فى حالات يرثى لها...

هذا بائع أوراق اللعب "يا نصيب" ووراءه أسرته بأكملها يلحف ويكرر وهو يضايق المارة . وهذا مجذوم على قارعة الطريق ، وغيره مقطوع الرجل أو الذراع ، وثالث ضرير . يعرضون أنفسهم على المارة فى حالة مؤلمة .

ودل التحقيق فى عدة حوادث على أن هؤلاء المتسولين يدعون ما بهم من عاهات بينما هم أصحاء بل هم فى الواقع من الخطرين على الأمن العام ، ومنهم اللصوص والمجرمون والمحتالون والذين يعيثون فى الأرض فسادا .

ومشكلة التسوّل مشكلة مزمنة — إن صح هذا التعبير — وتحتاج إلى حزم وإصلاح حقيقى من جانب الحكومة والشعب معا ، والى تطبيق نظريات علم النفس ومعالجة الفقر والكسل ، وقد نعود إلى موضوع الكسل كمرض فى عجالة أخرى فى عدد قادم من هذه المجلة .

وسيبقى التسوّل وصمة فى جبين مصر يشوّه نهضتها ما لم تقم الجماعات الاجتماعية بدرس المشكلة من جميع وجوهها ، والقضاء على هذه الرذيلة ...

* * *

من بضع سنوات جاءت إلى مصر سائحة من الترنسفال ، وهى أستاذة بجامعة "جوهانسبرج" بجنوب أفريقيا ، وقالت لأحد الصحفيين : "إن كثرة الشحاذين فى مصر أمر مخجل جدا" وأضافت إنه لم يكن فى عاصمتنا — فى جنوب أفريقيا — غير شحاذين اثنين فقط : سيدة ورجل ! وقد عز علينا أن تتسول واحدة منا ، فسعت جمعية السيدات عندنا فى إيجاد عمل لها لتكسب قوتها بشرف ، قد وجدت لها موردا للرزق الحلال ، وعممت الجمعية على الحاق إبنها الناشئ بعمل آخر . وعملت الشركات الانجليزية على استخدام الشحاذ الآخر على ما فيه تشويه فى الخلقة ... وفى نهاية الحديث سألت تلك السيدة الجليلة : "ولم لا يعمل المصريون مثلنا ؟" .

و إلى القراء ما فعلته بولندا فى سنة ١٩٣٤ للتخلص من جيش جاب من المتسوّلين يبلغ عدد أفراده سبعة آلاف ... هجم هذا العدد الكبير على مدنها بكثرة اضطرت منها ولاة الأمور هناك إلى اتخاذ إجراءات شديدة معهم .

وكانت أولى هذه الاجراءات أنها فرضت عليهم الاستحمام لتنظيف أجسامهم من الأقذار التى يهددون بها الصحة العامة ، وعملت الحمامات الساخنة فى جلودهم فأذابت الوسخ . وبدأ الحلاقون حملتهم عليهم فأزالوا شعورهم الطويلة ، و بعدئذ تحولوا إلى العيادات الطبية تحت الفحص الشديد لتقرير أمرهم .

وأسفر التحقيق بعد هذه العملية على استكشاف أن نصف أولئك الشحاذين من الأقوياء المفتولى العضلات الذين لا تدعوهم عاهة إلى التسوّل .

وتلت ذلك خطوة جريئة أخرى وهى أن الحكومة هناك أرسلت الأقوياء إلى مزارعها يعملون لقاء إطعامهم و إيوائهم . وأنقذت حكومة "وارسو" بهذا العمل غاصمتها من وصمة هؤلاء المتسكعين الذين طالما ضايقوا الناس على المقاهى والمطاعم بكثرتهم و بلحاجتهم.

فأمام أولى الأمر والمصلحين نضع مثالا مما فعلته بعض الأمم فى سبيل القضاء على مشكلة التسوّل ...

القاهرة "نصيف بقطر"

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

" اعلموا أنه ما نقل أحد إليكم حديثا إلا نقل عنكم مثله " .

نهضة السودان الاقتصادية

حديث عن تقدم السودان الاقتصادى والثقافى أفضى به

الدكتور يوسف نحاس بك إلى الصحف السودانية

أما مستقبل السودان الاقتصادى فانه ما يريد أبناء السودان أن يكون . فاذا نفض العامل عنه غبار التواكل الذى يغرى بالكسل واذا عقدت الخناصر على استثمار ما حبت به الطبيعه هذا القطر من كنوز على سطح الأرض وفى جوفها ووجهت الجهود (وقد تكون فى أول الأمر جهادا) — توجيها منظما سديدا تحت كنف ادارة ساهرة على مرافق البلاد فانى أجزم بأن المستقبل الاقتصادى سيكون عظيما يفيض الخيرات على أضعاف أضعاف من يعيشون الآن على أديم هذا القطر ولا يستغلون إلا القليل من خيراته الوفيرة، إن العمل الأولى والأساسى لبلد يريد أن ينهض اقتصاديا هو الزراعة والمجال أمامها هنا لا نهاية له فلا يعوزكم إلا العزيمة الصادقة والتشجيع لتحويل هذه السباسب المترامية الأطراف الى ديباجة خضراء هى النضار الوهاج والماء ميسور توفيره مما يجرى به النيل وما تجود به الأمطار وما قد يستطاع اخراجه باحتفار الآبار ، ناهيك بما يتيسر غرسه من غابات تعطى أجود أنواع الخشب الكبير القيمة السهل التصريف فى مختلف الأقطار المجاورة ، وللغابات منفعة أخرى هى تلطيف الجو وانقاء ضرر الرياح ومن ينظر الى ما قدر بعض ذوى الهمة على الوصول اليه فى هذا المضمار أمثال سعادة السيد عبد الرحمن المهدى وشركة الجزيرة وأبو العلا يوقن أن المجهود الزراعى سيكافأ مكافأة وافية اذا أحيط بالعناية وحسن الخدمة ومن مستلزمات النهضة الزراعية أن تزيد وسائل النقل السريع الرخيص فان حاجة السودان اليه لماسة .

أما مساهمة مصر فى هذا المجهود الذى يحتاج الى أيد عاملة متمرنة لا يزال السودان — وسيبقى ردحا من الزمن — مفتقرا اليها لقلة عدد سكانه فهذه المساهمة فيها كل الخير والبركة للقطرين الشقيقين وانى و إن كنت قد كتبت عام ١٩٣٥ رأيا لا يحبذ هذه المساهمة تحت فى ظروف ذلك الزمن إلا أنى اليوم أعدل رأيى وأهيب بنى وطنى أن يولوا وجوههم شطر السودان لزرع أراضيه البكرية القوية .

وقد تمشت أخيرا فكرة فى مصر ترمى الى تأسيس شركة تهدف الى هذا الغرض و ياحبذا لو نجحت وقام غيرها وغيرها وزالت كل عقبة تعترض هذا التعاضد . وفى خدمة الزراعة أقول إن على السودانيين أن يجعلوا همهم الأول زرع الحبوب بحيث يكفى انتاجه حاجة الأهلين وقد أصبح من غير الجائز أن يستورد السودان مثلا عشرين ألف طن من الدقيق كان ثمنها الذى يدفع الى البلدان الأجنبية قبل الحرب يتراوح بين مائة وستين ومائة وثمانين ألف جنيه كل عام و بعد ذلك — أى بعد أن توفر أرض السودان ما يكفيهما قوتهم الضرورى فلا يكونون تحت رحمة الغير للحصول عليه يستحسن أن يسعوا الى استخراج حاجتهم الأخرى

فيجربوا زرع القصب ليصنعوا منه السكر الذى كانوا يستوردون منه قبل هذه الحرب حوالى خمسة وثلاثين الف طن كان ثمنها ستماية جنيه . ولا أشك فى أن بالسودان أراضى تصلح لزرع القصب كما قد تصلح أيضا لزرع القنب الذى يستعمل فى صنع الأكياس والزكايب ففى هذه الناحية مجال فسيح جدا لانتفاع البلاد إذ فضلا عن أن السودان كان يشترى خيشا من الخارج قبل الحرب بما قيمته ماية وعشرون ألف جنيه فإنه يجد فى مصر سوقا عظيمة لكل مقدار يتسنى له تصديره من هذه العبوات .

إنى قد لمست فى زيارتى هذه للسودان تحمسا كبيرا لتشييد صرح الصناعة فى هذا القطر، وقد نهض رجال من ذوى الحمية والإقدام لإنشاء مصانع للزجاج والغزل وما إليهما، ولا يسعنى إلا الترحيب بهذه الروح الوثابة مع تحفظ أراه ضروريا وحيطة لا بد منها ، حتى لا يكون حبوط بعض المشروعات — لا سمح الله — مثبطا للعزائم .

فإذا كان السودان قطرا يقدر أن ينافس غيره من جهة رخص اليد العاملة فان هذا الركن ليس الوحيد الذى يراعى فى الصناعات ، بل إن أهم أركانها العبوات وتوفر الخامات والآلات والمعدات والحماية لكل صناعة ما تزال فى المهد إلى أن تترعرع . لذلك كانت الطفرة محفوفة بأشد المخاطر وخصوصا فى الظروف الراهنة . وفى رأيى أن يوجه التفكير إلى الصناعات الزراعية المتوافرة مواداً فى البلاد، مثل طحن الحبوب وحلج القطن وتجفيف الفاكهة وصنع الصلصات . والذى أراه إيثاره على سواه هو صنع الدمور الذى يكتسى به سواد الأمة . وكانت اليابان تبيع السودان منه قبل الحرب ما تربى قيمته على نصف مليون من الجنيهات سنويا، وبعده الدبلان، وكان المستورد منه قبل الحرب يساوى نحو ربع مليون جنيه على أن قيمة جميع الأصناف التى أوردتها قد زادت الآن ثلاثة أضعاف على الأقل، ناهيك بما يصادفه المرء من العناء للحصول عليها .

وفى موضوع الصناعة لى كلمة ختامية لا بد من قولها ، وهى أن الدعاية من مستلزمات نجاحها ، كما أن الاستعانة بالاخصائيين الأجانب ضرورة لا بد منها لتحقيق النجاح إلى أن يستطيع السودانيون أنفسهم التخصص فيه وإجادة العمل الفنى .

أما سؤالكم عن رأيى فى المستوى الثقافى العام فى السودان فإنكم حيأتم لى به فرصة لأبدأ إعجابى العظيم لما شهدته من تقدم فى هذه الناحية المباركة بين عام ١٩٣٥ وهو الذى زرت فيه السودان للمرة الأولى وعامنا هذا، ولم يقل عن هذا إعجابى بما شهدته من تعطش أهل السودان لتعليم أولادهم، وإنى أستبشر أجمل الاستبشار لما أراه من مناصرة حكومة السودان الرشيدة لهذه النهضة ، وبهذا المعهد الفخم الأنيق الذى تشيده الآن وزارة المعارف المصرية لتوسيع مدرسة فاروق الأول، ويسرنى المصارحة بأن هذه المدرسة على حداثة سنها قد بلغت فى مدى عام واحد من النجاح ما جاوز آمال المتفائلين، ومتى تمت عمارتها فى وقت قريب إن شاء الله، وتهيأت لها أسباب السير الطبيعى فى الكمال فإنها ستكون فى مقدمة مدارسنا المصرية الثانوية نظاما وتعليما وحسن إنتاج .

خواطر ... وتعليقات

إزالة الفوارق بين الأجناس

فى نبأ من لندن ، أن مؤتمر الجمعيات التبشيرية فى بريطانيا العظمى وايرلندا وجه نداء قويا دعا فيه إلى القضاء على الفوارق القائمة بين البيض والسود فى المستعمرات البريطانية ، وقد أعلنت اللجنة التنفيذية لمجلس الكنائس البريطانية تضامنها مع المؤتمر فى هذا القرار الذى يدعو إلى إزالة الفوارق اللونية والعنصرية .

وأهاب المؤتمر برجال الحكم أن يقوم حكمهم على أساس عدم الأخذ بالفوارق المصطنعة التى تحول دون تقدم السكان الوطنيين ورخائهم ، وأشار الى ضرورة مناصرة الشعب لجميع الجهود الحكومية للقضاء على هذه الفوارق .

و إذا كان المؤتمر قد أدرك ضرورة إزالة الفوارق بين الأجناس البشرية وأهاب داعيا إلى القضاء عليها ، فانه أقام بذلك ركنا من أركان الدين ، ونفذ حكما من أحكامه ، فالأديان كلها لا تقر تمييز جنس عن آخر ، حقنا للدماء ، ومنعا لاثارة الفتن والأحقاد .

فالمسيحية نصت تعاليمها على المساواة ، وجاء الاسلام فعزز هـذه الدعوة ، وساوى بين جميع الأجناس ، فقال تعالى " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " وفى الحديث الشريف " لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى " وخاطب النبى صلوات الله عليه وسلامه قومه بقوله : "كلكم من آدم .. وآدم من تراب " أى أنكم جميعا من أصل واحد ، وعنصر واحد ، ومنبت واحد ...

والذى أريد أن أقوله إن رجوع الساسة إلى الدين وأحكامه خير ما يكفل لسياستهم القوة والنجاح ، ويهيىء لهم من أمرهم رشدا ، ويكسبهم أعوانا وأنصارا ، ويقيهم شر الفشل والهبوط ...

فالدين خير دستور وضع للبشرية ، لم يترك صغيرة ولا كبيرة من شؤونهم إلا وأقام حدودها ، وأوضح آثارها ...

أيها القادة ...

صلاح المجتمع فى أيديكم ... وعدة هذا الاصلاح " الدين " ... فأقيموا الدين ، واعملوا بنصوصه وأحكامه ، تستقيم لكم الأمور ، وتذلل الصعاب ...

ارجعوا إلى الدين ، ففى الدين هدايتكم ، لعلكم تفلحون ...

المجتمع الجديد :

دعت أمريكا الدول التى اشتركت فى الحرب إلى مؤتمر سان فرانسيسكو ، للاتفاق على وسائل تنظيم العالم الجديد ، ولا شك أن الشئون السياسية والدولية ستتأثر بالجانب الأكبر من أعمال المؤتمر ، وإن كان من ضمن برامجه بعض المسائل الاجتماعية فان المجال لن يتسع لدراسة جميع المشاكل الاجتماعية التى سيواجهها العالم بعد الحرب ، وعلاج هذه المشاكل على نحو يتفق واتجاه العالم الجديد ، ومن الأصوب أن يفكر قادة الإصلاح الاجتماعى فى الدعوة الى مؤتمر يختص أعماله لدراسة المسائل الاجتماعية ، وتنسيق الجهود لبناء مجتمع جديد ، يرفل أبناؤه فى فضفاض الهناءة .

لماذا لا تكون مصر أسبق الدول الى الدعوة لهذا المؤتمر ؟ ! . . فتشاهد القاهرة مؤتمراً دولياً يرسم قواعد المجتمع الجديد ، ويضع التصميم الذى يتفق عليه الجميع ...
هذا ما نأمله ، ونرجوه ...

من صور الحرب :

إذا ذكرنا هذه الصفوف المتلاحمة من الشباب المجند أمام خطوط النار ، وأشدنا فى أحاديثنا ومقالاتنا ببسالتهم ووطنيتهم ، ذكرنا بذكرهم هؤلاء الفتيات المجندات ، اللاتى تطوعن للعمل وخدمة الجنود...

إن هذه الفتاة التى تقدمت للخدمة عن طيب خاطر لا تقل وطنية عن هذا المجند الذى خرج الى الميدان شاكى سلاحه ، فكل منهما يعمل فى الناحية التى تلائم طبيعته ، وكل منهما يساهم بالقدر الذى يستطيعه...فهى بطبيعتها لا تقوى على القتال ، ولكن أنوثتها تؤدلها لمهمة أخرى ، فهى تضمد جراح المصابين ، وتسهر على راحتهم ، وتهيىء لهم طعامهم وملبسهم ، وتكتب الرسائل لأهلهم وذويهم ، ولطالما حملت الينا الصحف أنباء هؤلاء الفتيات... وشاهدنا على الشاشة صورا تنطق ببسالتهن ، فرأينا الفتاة الروسية تشمر عن ساعدها وتحفر الخنادق فى الجليد ، ورأينا الانجليزية تقوم بأعمال التمريض والاسعاف وتملأ الفراغ الذى تركه وراءهم الرجال المجندون ، ورأينا الأمريكية تشترك فى تشييد السفن والطائرات الحربية ، وهكذا تجند الأمم قواها ...رجالها ونساءها... فتيانها وفتياتها...شبانها وكهولها ومتى اتحدت هذه القوى زادها اتحادها قوة وصلابة لايقوى على قهرها الحديد ولا النار ..

ولقد أتيح لنا أن نشهد عن كثب جانبا من نشاط هؤلاء المجندات ، فرأينا فيفا منهن فى "القاهرة" يغدو بيننا يروح ، وتبدوا على وجوههن دلائل الذكاء ، ونقرأ فى أعينهن سطور الوطنية الصادقة ، ويمتزن بالجد والاتزان والخلق النبيل .

إن هذه الروح الكريمة مصدرها الروح المعنوية التى تمتاز بها هذه الشعوب ، وللتربية الأولى دخل كبير فى تكوين الأمم ، فهم يغرسون فى نفس الطفل تلك المبادىء السامية ، ويرضعونه إياها منذ رضاعه فتمتزج بدمه ولحمه ، ويلقنونها له حتى تصبح جزءا منه ، أو يصبح جزءا منها !..

أما هذا النشء الذى ينشأ مدللا منعما ، نخاف عليه خطرات النسيم ، ونسرف فى تدليله ولا نعوده تحمل الصعاب والصبر عليها ، فهو نشء ضعيف ، خائر ، تصرعه الصدمة الأولى.. فياحبذا لو عنى المربون بتربية الروح فى الطفل قبل الجسد ، فيخرجون للمجتمع رجالا كاملى الخلق ، مزودين بأسلحة الرجولة ، يعتمد عليهم فى الملمات ، وتقوم على اكتافهم صروح مجده وعزته .

هذه صورة من صور الحرب تكشف لنا عن ناحية من نواحى التربية ، وتصور لنا كيف يربى الغربيون أبناءهم وبناتهم ، ويعدونهم للغد إعدادا صحيحا .

المرأة المصرية والرياضة :

اشتركت بعض الفتيات الأجنبيات فى مباراة الرماية التى أقيمت بالقاهرة ، والتى شرفها حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم بحضوره ، وقد قال جلالته لمن حوله إنه كان يتمنى أن يرى من بين هؤلاء المشتركات بعض المصريات .

والواقع أن السيدة المصرية لا تعنى بالرياضة العناية الواجبة ، وتنصرف عنها ، وتعتذر بكثرة مشاغلها وعدم اتساع وقتها ، رغم أنها تنفق جانبا كبيرا من الوقت فى الزيارات ، ولو أنها خصصت جانبا من وقتها لممارسة بعض الألعاب الرياضية لاستطاعت أن تكسب جسمها جمالا وقوة ورشاقة .

ونوادى الرياضة النسائية عندنا لا وجود لها ... فياحبذا لو عمل بعض الرياضيين على إنشاء نواد نسائية خاصة يختلف اليها السيدات والفتيات فى أوقات الفراغ فيجدن فيها خير تسلية تفيدهن .

هذه أمنية ... فهل تجد من يحققها ؟

عيسى متولى
بنك مصر

أميرة عربية !!!

قصة مصرية : من مذكرات مسروقة ...

للأستاذ عبد الله حبيب

كان الشيخ عبد الحميد ... طالبا فى معهد الاسكندرية الدينى، وكان محبوبا بين رفاقه بالتجلة والاحترام، لأنه كان يتفرد — مع أفراد قلائل — بين الطلاب بمظاهر الغنى والجاه.

وكان أبوه أشهر تجار النحاس فى الوجه البحرى، جم الثراء، وافر الربح، سخى اليد لا يرد سائلا، ولا يدخر مالا.

وكان ابنه الشيخ عبد الحميد ... على غراره أريحية وكرما، وكان حبيبا الى نفوس الطلاب والشيوخ. يرفل بينهم فيما وهبه الله من نعمة وجاه، وكان الى ذلك ريان الشباب، مستوى العود، جميل الوجه، ذكى الفؤاد، متوقد الذهن، فاجتمع له بهذه الصفات كل مايحببه الى النفوس ويأخذ بيده الى ما يشتهى من مجد ونجاح.

ثم تعاقبت الأيام، وكثرت الأعوام، فاذا الحرب العالمية الاولى يندلع لهيبها فى الأرجاء، وإذا الأحكام العرفية تفرض على البلاد، وإذا والد الشيخ عبد الحميد يلقى جوار ربه دون أن يدع لبنيه من ثروته الطائلة الا صبابة ضئيلة لا تفى بحاجاتهم ولا تحفظ عليهم مكانتهم بين الاهل والاصدقاء.

وامتدت يد الأحكام العرفية الى الشيخ عبد الحميد كما امتدت الى كثير من المصريين بالنفى والاعتقال، فكان أحد المنفيين فى مالطة، فظل بها أربعة أعوام.

ولما عاد الى مصر من منفاه كان رفاقه فى الدرس قد خلفوه وراءهم ونالوا درجاتهم العالية وظفروا بحظهم من الوظائف.

وكانت الثورة المصرية قد تنادى بها الزعماء وحمل لواءها الطلاب، فخاض الشيخ عبد الحميد غمارها، وكان أحد خطبائها الأفذاذ. وجنحت به الثورة عن مواصلة الدرس، وغمره طوفان الوطنية فكان أحد ضحاياها أولا وأخيرا.

وفازت ثائرة البلاد، ونال أكثر المجاهدين نصيبهم من نعيم الحياة ورخاء العيش، إلا صاحبنا — مع نفر قليل — فقد تلفت حوله فلم يجد له من مغانم الوطنية نصيبا.

وحسب المسكين أن معرفة الزعماء له وبعد صوته فى الخطابة وذيوع اسمه فى الثورة المصرية يكفل له النجاح إذا هو عمل فى الصحافة. لكنه منى بالخيبة فى هذه كما منى بها فى تلك. وظل الى اليوم يغالب الأيام وتغالبه، ويتعلق بالآمال كما تتعلق الدمعة الحائرة فى جفن الساهد الحزين.

وعرفت الشيخ عبد الحميد فى دنياه المدبرة فأنست بمعرفته وارتحت لمجالسته ونعمت بحديثه العذب الفياض .

وهو الآن أحد أفراد قلائل ممن ألموا بتاريخ الثورة المصرية وأسرارها وخفاياها ، ويكاد ينفرد فى هذا العهد بمعرفة شاملة لتاريخ الأسر المصرية .

قلت له ذات مرة : ألم تعن بكتابة مذكرات عن حياتك الحافلة بشتى الوقائع والذكريات ؟ فأجاب : لم أدع شاردة ولا واردة من حياتى إلا قيدتها فى حينها ، وإنى لأرجع اليها الان فأجد فيها سلوة وعزاء . لقد كانت حياة قصيرة ، ولكنها كانت عريضة الأفق متعددة الجوانب ذاخرة بالأحداث .

قال ذلك — وكنت فى منزله — ثم نهض إلى غرفة أخرى فعاد يحمل بعض هذه المذكرات ، وتناولتها بالقراءة العابرة فرأيت بين أجزائها طرفا وغرائب جديرة بأن تكون متاعا للقراء . ووقع بصرى على جانب يمثل حياته الغرامية ، وراقنى طرافة هذا الجانب من حياته فسألته : أليس من الخير أن تقوم بنشر هذه المذكرات ؟ فقال : لقد ضننت بها على النشر حتى أيام كنت أعمل فى الصحافة فكيف بى أبيح نشرها اليوم بعد أن جافيت صناعة القلم وآويت إلى عزلتى .

ولست أدرى لماذا عولت فى هذه اللحظة على سرقتها . أجل تملكنى هذه الرغبة ... فلم أبرح منزله حتى ظفرت بها ...

والآن فسيجد الصديق هذا الجانب من حياة قلبه وهواه قصة بين أيدى القراء ، وسيعرف أنى أنا السارق الذى لم يرع حرمة الأسرار . وفى سبيل القلم وصناعته ماسألق من غضب الصديق وعتبه .

وتلك هى المذكرات المسروقة ... ...

* * *

(... مارس سنة ...)

ما أجمل الربيع فى ثغر الاسكندرية وما أروع أصائله وأمسياته على شاطئ البحر ، إننى أحس فى هذه الأيام كأننى أصبحت عاشقا ، أرجو أن يكون هذا الإحساس وهما من أوهام الربيع . يقولون إن القلوب تتفتح للحب فى الربيع كما تتفتح الورود ، فهل تفتح قلبى لحب هذه الـ ... ... هذه الأميرة ، أجل هذه الأميرة العربية التى يفر من سطوة جمالها سراة الثغر ووجوهه ، وماذا يخيفنى من هواها ولست أعنى منها ما يبغى المدلهون . إننى أعرف مكانى فى هذه الدنيا ، فلست أحمل نفسى عناء الآمال الكذاب ، سأقنع من هواها بالنظرة الخاطفة ، وستكون هذه النظرات زادا لقلبى ...

* * *

(... مارس سنة ...)

اليوم جاز بى الهوى مقداره فى أهله وعرفت أنى عاشق

ولا سبيل الى النجاة من هول ماجرنى اليه قلبى ، فلتكن مشيئة الحب وليرحم الله المحبين

رباه ؟ ؟ هذه أميرة عربية فاتنة ، وهى — كما حدثونى — وفدت الى مصر من بلادها النائية لتشهد معالمها وآثارها ، وها أنذا أراها بعينى تنزل فى أفخم فنادق الثغر وتحتل منه جناحا خاصا ، وتلك آثار الغنى الطائل والنعمة الوفيرة تبدو للعيان فى كل مظاهرها ، وهذه ثيابها العربية التى تحرص على لبسها تم عن تمسكها بعادات قومها ، فكيف توسوس لى نفسى بالدنو منها والتعرف اليها ؟

لقد كنت أريد أن أقنع بالنظر اليها بعيدا عن قدس مجلسها ، فما بالى اليوم أتعلق بكاذب الامال فيؤرقنى هم التفكير فى وسيلة أتقرب بها اليها .

ذلك هو جنون الحب ، وتلك هى سماته . أليس من الجنون أن يخفق قلبى بحب هذه الأميرة التى غزت قلوب الفتاة من أبناء الثغر ورواده الأثرياء . ومن أكون بين هؤلاء وهؤلاء بعد أن ذبل الشباب ، وخلا الوطاب .

رباه !!

هل أنت مسعد من ضاقت به الحال فتى تغـرب لا أهـل ولا مال

* * *

(... أبريل سنة ...)

اليوم ما أسعدنى بهواى ، لقد تجرعت شهر كامل لقيت فيه من الوجد والحرمان ما يذيب قلب الجماد . أما اليوم فما أسعدنى بهوى الاميرة الفاتنة ...

من كان يصدق أن أظفر — أنا الذى يعوزنى ثمن قدح من الشاى فى بهو الفندق الكبير الذى تنزله الأميرة — بابتسامتها الساحرة . ومن كان يظن أن أرى بعينى إقبالها على المائدة القريبة منى وانصرافها عن بقية الموائد ، وحولها شباب الثغر والصفوة المختارة من أغنيائه ، لست واهما فى فهم ما فهمت . لقد أقبلت اليوم نحوى وظلت تتفرس فى وجهى طويلا ، أليس من الجائز أن تكون ثيابى العربية وعمامتى الأنيقة سبب إقبالها على وتطلعها الى . ليكن هذا أو سواه ، فقد ظفرت منها بما لم يظفر به أحد .

سأعود الى الفندق غدا ، وسأدنو من مجلسها فأحييها وليكن ما يكون .

* * *

(... أبريل سنة ...)

ويلى ، ثم ويلى ، كيف جسرت على ماأقدمت عليه اليوم ؟ ...

هذا الوجه الفاتن الساحر ، وتلك التقاسيم العربيـة الوضاءة ، وهذه الأناقة فى ثيابها البدوية الموشاة الطريفة ، وذلك الجسم الريان المتود . كل هـذا أو بعض هذا أما كان يكفى لأن تتولانى بسببه الرهبة أو يعقد لسانى الخوف ؟؟

لقد أقبلت اليوم تتهادى نحو مائدتها المختارة فى بهو الفندق، ورنت الى فى إيماءة لماحة خاطفة ، إى والله رنت الى الأميرة التى افتتن بها كل من رآها ، والتى ظفرت أنا وحدى باعجابها ورضاها ، ما أعجب تصاريف القلوب !!! وما اروع هـذه المفارقة المباغتة التى خفق لها قلبى واضطرمت بها جوانحى .

لمت أطراف شجاعتى ، وأقدمت نحو مائدتها فلم تتذكر لهذه الجرأة النادرة ، ووقفت أمامها ثم حاولت أن أنطق بكلمة فانعقد لسانى وجف حلقى واحتبست الكلمات فى فمى ، ورأت الأميرة ذلك — وكان رواد الفندق قد تطلعوا نحـوى — فأعانتنى بإيماءة رقيقة ثم أشارت الى مقعد على مائدتها فارتميت عليه كمن يخشى السقوط . وكان لا بد أن أتكلم ففتح الله على بكلمات قصار .. قلت لها فى رجفة : إننى أيتها الأميرة شاب مصرى عربى الأصل ، وقد رأيتك لأول مرة فى هذا الفندق فتساءلت عنك ، فقيل لى مرة إنك أميرة اسبانية تحرصين على زى أجدادك العربى القديم ، و إنك وفدت الى مصر لمشاهدة آثارها والتمتع بشمسها وهوائها ، وقيـل لى مرة أخرى إنك أميرة عربية من " بين البحرين " جئت الى مصر فى غير حاشية أو دعاية طلبا للراحة فى بلادنا .

قلت ذلك فى جهد ومشقة ، وحاولت الرجة كل قواى فلم أقو بعد هذه الكلمات على إتمام ما أريد ، فلزمت الصمت مطرقا ، وكأنها أشفقت على من هذه الحال ، فافتر ثغرها عن ابتسامة مشرقة ثم قالت فى لهجة عربية فصيحة :

— وهل حيرك هذا الأمر فلم تهتد لأصلى ولم تعرف على التحقيق إن كنت اسبانية من أصل عربى أو عربية صميمة من " بين البحرين " ؟ ...

وكنت قد قويت على الكلام فقلت :

— كلا ، لم تكن هذه المسألة سبب حيرتى . ولكنى كنت أريد أن أقول بعـد ذلك إننى أراك هنا وحدك بغير رفيق أو أنيس ، فعجبت لهذه الوحدة الموحشة وقلت فى نفسى هل ... هل ...

— قالت فى نفسك هل تقبلنى الأميرة لأكون لهـا ذلك الرفيق المؤانس أليس كذلك .

أدركتنى رحمتها فتولت عنى إتمام ما كنت أريد أن أقوله فاطمأنت نفسى لحديثها وقلت :

— أجل أيتها الأميرة ، ذلك ما كنت أبغى أن أقول :

قلت هذه الكلمة فـما راعنى إلا أن أغرقت فى صمت وتأمل ، ثم رفعت إلى وجهها وظلت تحدق بنظراتها الفاحصة حتى أطرقت خجلا ، ولزمت الصمت كما لزمته ، وبقينا على هذه الحال ما شاء الله أن نبقى — وكأنها رأت بعد هـذا الصمت الغامض أن تذهب وحشـة نفسى فراحت تسألنى عن آثار مصر و إقبال السائحين عليهـا ، وتشعب الحديث فى شئون شتى كلها فى نظرى تافهة لأنها لا تعنينى ، ثم نهضت فمـدت إلى يدها فى وقار ولطف وسلمت منصرفة الى جناحها فى الفندق ، ومضيت تشيعنى نظرات الجالسين ، وكنت فى هذه اللحظة شارد اللب أفكر فى شأنى مع هذه الاميرة التى أصبحت همى وشاغلى

(... أبريل سنة ...) .

لك الله يا قلبي ، فقد طمعت فى غير مطمع ، وتعلقت بالأوهام فى حب هذه الأميرة ها أنذا أراها اليوم قد تغير حالها ، لم تعد "وحيدة" كما كنت أراها ، لقد أختلف إلى جناحها فى الفندق عظماء المدينة فاصبحت تلقاهم فى بشاشة وهشاشة .

بالأمس رأيتها على شاطئ البحر فى سيارة أحد أبناء العظماء الوارثين ، ورأيته الى جوارها يدل ، وهمو مقام الجالسة الى يمينه .

لقد كانت رائعة فى جلستها ، وحانت منى اليها التفاتة فإذا هى ترمقنى بنظرة غامضة أعرف كنهها .

إن هذه الأميرة تحيط بها أسرار لا قبل لى بكشف خفاياها ، لقد أصبحت سيرتها فى أفواه أهل المدينة ، وذاعت حول اسمها الأقاويل ... قالوا إنها عابثة لاهية ، وقالوا إنها تنصب شباكها لذوى الغنى واليسار فتظفر منهم بالمال الوفير والهدايا الغالية ... قالوا وقالوا وما أشقانى بما قالوا .

غدا سأذهب لزيارتها ، وغدا ما كاشفها بحبى ... أجل ما كاشفها بحبى أنا الفقير المسكين ، وما كشف بذلك بعض أسرارها أو ليكن ما يكون .

* * *

(... أبريل سنة ...) .

لقيتها اليوم واجمة ساهمة تفكر وتطيل الصمت والإطراق ، كأنها قد برمت بالدنيا وزخرفها ، وكأنها قد سئمت عيشها الوارف الظليل فراحت تفكر فى الفرار من دنياها الصاخبة .

قلت لها :

— ما بالك اليوم كأن بك هما دفينا .

فأجابت فى صوت متهدج :

— بل هموما تضيق بها نفسى .

قلت :

لقد جئت اليوم وعلى لسانى كلمة جريئة كنت أريد أن أغامر بها فألقيها بين يديك . لكنى الآن أحجم عنها فلست أريد أن ألقيها إلا فى وقت تكون نفسك فيه منطلقة من هذا الأسار .

فأجابت مسرعة :

— بل قل الآن ، فمن يدرى ، لعلى أجد فى كلمتك هذه عزاء لنفسى .

عندئذ انفرط لسانى بهذه الكلمة التى كنت أخشاها فقلت لها فى جرأة وبساطة :

إنى أحببتك منذ رأيتك ، وكنت ولا أزال أعد هذا الشعور فى نفسى ضربا من الجنون ، فماذا تقولين فى شأن هذا الفقير الذى يجرؤ على أن يصارحك الهوى وهو يعرف كيف وضعته الأقدار بين الناس ..

لم أقل هذه الكلمة حتى رأيتها تطرق بإطراقه حزينة ساهمة . وظلت على ذلك دقائق كانت بطيئة الخطى ثقيلة الوطأة على قلبي . وبقيت أرقب جوابها كأنى أرقب الحكم بالإعدام فى ساحة القضاء .

وبعد لأى قالت :

أمنحك الجواب الذى تبغى على شرط أن نهبض الآن إلى شاطئ البحر لعلى أفرج بأمواجه ضيق صدرى . وهناك تتحدث فيما تشاء .

وكنا على شاطئ البحر بعد قليل ، واختارت صخرة ناتئة فى منعطف الشاطئ وفى مكان سحيق لا تدب اليه قدم . ثم وقفت تنظر إلى الأمواج المتدافعة مرة ، وتطيل التحديق فى الأفق البعيد على صفحة الماء مرة أخرى .

وسحرنى هذا الموقف الرائع على الساحل ساعة الغروب ، وكانت الشمس ترسل شعاعها اللهبي وهى تتعلق بالأمواج قبل أن تغيب بين طياتها . وكان الشفق الدامى بعد الغروب يتراءى بعيدا كأنه آثار معركة دامية انتصرت فيها طلائع الليل على طلائع النهار .

فى هذه اللحظات الرهيبة تكلمت الأميرة وعلى شفتيها الفاتنتين ابتسامة باهتة حزينة .

— تريد الآن جوابا حاسما ، أليس كذلك ؟

قلت فى لهفة :

— أجل .

فأجابت فى صوت خافت ونبرات مرتعشة :

— ألا أقص عليك قصة صغيرة قبل هذا الجواب الذى تتلهف عليه .

قلت :

— كل كلمة تخرج من فيك حبيبة إلى نفسى .

فنظرت إلى الأمواج وراحت تقص القصة الصغيرة دون أن تلتفت إلىّ كأنها كانت تحدث بها نفسها فى ساعة نجوى .

فقالت :

فى أرض فضاء بإحدى ضواحى هذا القفر كان بعض الأعراب يضربون خيامهم حيث يجدون المرعى لإبلهم وغنمهم . وبين هذه الخيام المتناثرة فى الرمال قامت خيمة صغيرة أبلتها الرياح والأمطار . وفى هذه الخيمة أقام أعرابى فقير مع ابنته الوحيدة التى فقدت أمها فى طفولتها ، وعاش الاثنان عيش الفاقة والشظف .

وكانت هذه الفتاة مشرقة فاتنة الملامح ، فتطاع إليها أبناء الأعراب كل يبغيها لنفسه زوجة ، وكان أبوها يضن بها عليهم لأنها كانت تعينه على العيش فتقوم على رعى غنماته ، ثم تحمل لبنها لتبيعه فى بيوت الموسرين من سكان الضاحية .

وفى يوم من الأيام مر بخيمتها فتى تلوح عليه آثار النعمة والثراء بما يلبس من ثياب زاهية . ونظرت اليه وكان فى طريقه إلى بيت بعض أصدقائه هناك . وطال ترداده على طريقها فكان يرمقها وترمقه دون أن يكلم أحدهما الآخر .

... ورمدت إحدى عينيها فجلست أمام خيمتها مطرقة تغطى عينيها بمنديلها . ومر بها صاحبنا فوقف عندها وحياها ثم سألها عما أصاب عينها وسألها هل ذهبت لعلاجها فى مستشفى المدينة الرمدى . وأجابته فى ذلة وانكسار بأنها لا تعرف الطريق إلى هذا المستشفى ولا تملك أجرة الترام اليه . وتفرس الفتى فى وجه الفتاة فراعه جمالها الفاتن ، وحلت من قلبه مكانا ساميا . وانصرف على أن يعود من زيارة صديقه ليستأذن أباها فى مصاحبتها إلى طبيب من أصدقائه وليكلفها برعايته إلى أن تشفى ...

وأحسن الفتى إلى الأعرابية الفقيرة حتى تم شفاء عينها وعاد وجهها إلى إشراقه وفتنته

وكانت الفتاة قد أحبت الفتى حبا ملك عليها شعاب قلبها . لكنها لم تجسر على مفاتحته بالحب لشعورها بالمذلة والفقر بالنسبة اليه... لقد كان الفتى أحد طلاب معهد الاسكندرية الدينى ، وكان يرفل بين رفاقه فيما وهبه الله من عز وثراء وجاه .

ومضت أيام وأيام . وعلى حين فجأة اختفت خيمة هذه الفتاة من بين الخيام ، وغابت عن الحى مع أبيها فلم يعرف أحد من شأنهما شيئا . أما سبب اختفائها مع أبيها فذلك لأن أميرا إسبانيا كان يسكن قصرا من قصور هذه الضاحية طلبا للمتعة والراحة ، فتجول بعض الأيام بين هذه الخيام فراعه جمال هذه الفتاة فتحدث الى أبيها وعرض عليه أن يكون أحد حراس قصره وأن تكون ابنته إحدى خادمات القصر ، وقبل الرجل مسرورا ، ودخلت الفتاة القصر على استحياء وأصدر الأمير أمره الى الوصيفات والجوارى أن يقمن باعدادها فى أجمل الثياب وأغلاها لتكون خادمته الخاصة ...

وفى شهور قلائل تحولت الاعرابية الفقيرة الرثة الى فتاة عصرية تتكلم اللغة الاسبانية وتلم بالفرنسية ، وأصبحت بفعل المال وسحره وحظوة الأمير غادة القصر وصاحبة الأمر والنهى فيه . وفى جملة وجيزة : أصابت من نعيم الدنيا كل ما تتمناه فتاة ، ونالت كل شىء وفقدت فى سبيل ذلك أنفس شىء ! ! ! ...

ثم مات أبوها ، واعتزم الأمير على الارتحال — وكان قد مل خدمتها وزهدت نفسه فيها ، فتركها وارتحل بعد أن أغدق عليها مالا وحليا وثيابا .

وفى طوال الأعوام التى قضتها فى كنف الأمير لم تكن نسيت فتاها الذى أحبته وتدلهت فى هواه .

وخرجت الى دنيا اللهو والآثام فأوحى اليها شيطانها أن تلبس الثياب العربية الأنيقه الغالية، وأن ترعم لنفسها أنها أميرة عربية وفدت الى مصر وحيدة تجوب أرجاءها وتشهد آثارها — وتهافت على مجلسها عليه القوم وعظماء الرجال ، ونصبت شباكها لاصطياد أموالهم وهداياهم .

وقضت فى هذه الحال أعواما وأعواما ، ترتحل عن مصر الى عواصم أوروبا تزعم فيها لنفسها ما زعمت فى مصر ، ثم تعود فى بعض فصول السنة زاعمة أن هواء مصر يجتذبها فى كل عام .

وعلمت فى خلال ذلك بالبحث والتقصى أن حبيبها الأول قد أدبرت عنه دنياه بعد أن عاد من منفاه فى مالطه فذهب رونق شبابه وغاضت ابتسامته واضطرب عيشه وصفرت يده واجتواه المجتمع . ثم التقت به على غير ميعاد ... فأعاد بلقائه قديم الذكريات ، وأجج فى نفسها سعير الوجد والهيام . لكنها كانت قد فقدت نفسها الأولى ، وكان هو قد فقد نفسه أيضا فلم يعد يصلح لها ولم تعد تصلح له . ولم يبق إلا أن تعود فتبحث عن مكان خيمتها الأولى لتقضى هناك بقية أيامها فى ثياب رثة بعد أن عافت نفسها دنيا الآثام دانيا تكفر عما اقترفت يداها . وكذلك لم يبق إلا أن يعود صاحبها من حيث أتى ليضرب فى مناكب الأرض طالبا للرزق كالمدلج الحيران فى البيداء أخطأه القمر ... بذلك أنبأت " لأميرة العربية" قصتها ، وكنت كلما ذكرت واقعة من وقائعها أنتفض لهول الذكرى الأليمة . لكنها لم تكن ترانى ... فقد كانت تتحدث ووجهها إلى الأمواج ...

رباه ! ! تلك هى " صابحة " أعرابية حى السيوف ! ! وكان الليل قد لف الشاطئ بغياهبه فعدنا واجمين ننشر صفحات الماضى ونطويها دون أن نتكلم .

أما أنا فقد عدت كما قالت أضرب فى بفاج الأرض كالمدلج الحيران ...

وأما هى فقد ارتحلت من الفندق الكبير ثم اختفت فجأة كما اختفت مع أبيها أول مرة لم يعرف أحد من شأنها شيئا .

عبد الله حبيب
رئيس مكتب الصحافة
بوزارة الشؤون الاجتماعية

" لا يذكر الفجور فى العقلاء ، ولا الكذوب فى الأعفاء . ولا الخذول فى الكرماء ، ولا الكفور بشىء من الخير " .

" ابن المقفع "

مؤتمر إصلاح الأسرة

قررت الجمعية العمومية لرابطة إصلاح الأسرة فى اجتماعها السنوى برياسة سيد بك على علوبة باشا الدعوة الى عقد مؤتمر عام لبحث شؤون الأسرة يدعى إليه رجال الدين والاجتماع والتربية والمشتغلون بالأبحاث الاجتماعية فى مصر والأقطار الشقيقة، وقد شكلت لجنة التنظيم المؤتمر من حضرات أصحاب العزة :

محمد فتحى بك، عبد الحميد بك عبد الحق، جلال حسين بك، حسن بك فريد، صالح جودت بك، أحمد محمد بك، الدكتور محمد صالح حامى بك، الدكتورة فاطمة فهمى، الأستاذة زينب لبيب المحامية .

وتطلب البيانات الخاصة بهذا المؤتمر من سكرتارية الرابطة ٦ شارع محمد صدقى باشا بميدان الفلكى بمصر .

المطبعة السلفية ٨٢-١-١٩٤٥-٢٥٠٠